الروح تتكلم

رحلة من الألم إلى استعادة الذات

777



دنيا الشافعي

المؤلفة



الروح تتكلم

رحلة من الألم إلى استعادة الذات

دنيا الشافعي

المحتويات

لم يكن لي بيت

تمهيد

الجزء الأول: الجذور

الجذور

الزواج والصوت الداخلي

الجزء الثاني: الصحوة

هدم القاموس

الصحوة: حين يتغيّر القاموس الذي أعيش به

الله من جديد

حين تغيّرت علاقتي بالخالق

الجزء الثالث: التحرر

الانفصال

لحظة القرار

بعد الطلاق

لم أتخلّ عنهما يومًا

حلم التجارة

المرأة بعد الطلاق

رسائلي للمرأة والرجل

جمال الروح والشكل

الجزء الرابع: عالم الروح

فك القيود

مخيّر أم مجبر؟

هل أنت مستعد؟

الوحدة

الجنس الروحي

الهالة: النور الذي لا تطفئه قسوة الحياة

بذرة من بذور النجوم

الصحوة الروحية: مرآتك الحقيقية

الجزء الخامس: الولادة الجديدة

العوض الإلهي

قبل الباب

اللقاء

النور الذي طلبته

العلاقة الروحية

من هو الونيس؟

الأمان

شيء أكبر من الحب

طعم العوض

بعيون الوعي

القطعة الناقصة من لوحتي

بطل حكايتي

سلامي الداخلي

ابدأ

خاتمة

رسائل الامتنان

لم يكن لي بيت

لم يكن لي بيت.

لم يكن لي بيت أستطيع أن أقول عنه: هذا مكاني.

كنت أتنقل في بيت جدتي، أعيش بين أشخاص أحبوني وعاملوني جيدًا، ومع ذلك كان في داخلي شعور لا أعرف كيف أشرحه؛ شعور بأنني ضيفة في مكان يُفترض أن أشعر فيه بالأمان.

لم يكن ينقصني سقف فوق رأسي فحسب، بل كان ينقصني ذلك الإحساس البسيط الذي يجعل الطفل يطمئن إلى أن له مكانًا ثابتًا في هذا العالم.

كنت صغيرة، ولم أكن أعرف كيف أسمّي ما أشعر به. لم أكن أعرف أن بعض الأسئلة التي سترافقني في حياتي بدأت تتشكّل هناك، في تلك السنوات التي كنت أبحث فيها عن الأمان.

كبرت دنيا، لكن شيئًا من تلك الطفلة ظل يبحث عن إجابة.

لم أكن أعرف حينها أن رحلتي لن تكون مجرد محاولة لبناء حياة أفضل، بل رحلة لفهم نفسي، وفهم ما ورثته من أفكار، وما سأختاره يومًا بإرادتي.

هذه ليست حكاية طفلة فحسب.

هذه حكاية دنيا، والروح التي قررت أخيرًا أن تتكلم.

تمهيد

أؤمن أن كتابي سيختار قارئه؛ من يقرؤه بحب، ويتأمل كلماته بعمق. وأؤمن أن هذه الصفحات ستكون بوابةً للتغيير في حياته.

هذا الكتاب جزء من حياة دنيا؛ حياةٍ مرّت بمحطات كثيرة، وتجارب نقلتني من درب إلى آخر. سأحكي فيه عن الطفولة، وعن التفكك الأسري، وعمّا تركته بعض المراحل في داخلي، لا لأستعيد الماضي، بل لأنني أؤمن بأن ما نعيشه قد يتحول، مع الوقت والوعي، إلى درس نفهم من خلاله أنفسنا.

وسأحكي عن الروح، وعن لحظات شعرتُ فيها أن شيئًا في داخلي يستيقظ. أسمي هذه اللحظات صحوات روحية، وقد غيّرت نظرتي إلى كل ما

عشته. أنا هنا بصوت كل إنسان أراد أن يحكي عن حياته وصحواته، وكل من أراد أن ينقل حياته من مكان إلى مكان.

لا أكتب هذه الصفحات من مكانٍ لم يعرف الألم، بل من مكانٍ يحاول أن يفهمه. وأنا أكتب، عادت إليّ ذكريات أوجعتني، لكنني شعرت أيضًا بالسعادة، لأنني لم أعد أقف أمامها بالطريقة نفسها.

هذا أول كتاب أؤلفه. قررت أن أترك فيه لروحي مساحةً تتكلم فيها وتعبّر عمّا حملته طويلًا، لأنني لا أريد أن أغادر هذا العالم من دون أن أترك بصمة، ولا أن تمرّ تجربتي من دون أن تصل إلى روحٍ تجد في كلماتي شيئًا يشبهها، فتشعر أنها ليست وحدها.

أنا ممتنة لربّ العباد، الذي أستشعر فضله في هذه الرحلة، وأحمده على ما ألهمني من كلمات ومعانٍ. ففي هذا الكتاب تجارب حقيقية عشتها،

واستلهامات وتأملات روحانية منحتني، كما أراها، قدرةً على النظر إلى حياتي من زاوية مختلفة.

سأغوص بكم في عالم مختلف عمّا نشأنا عليه: عالم الروح.

أنا اليوم أخاطب الروح فيك، لا الجسد وحده.

وسأتوقف عند أسئلة رافقتني: هل نختار ما يحدث لنا، أم نُجبر على بعض ما نعيشه؟ وكيف نميّز بين ما ورثناه من أفكار، وما أصبح إيمانًا نابعًا من وعينا؟ وسأتحدث عن مفاهيم أصبحت جزءًا من رؤيتي للحياة، منها ما أسميه «الجنس الروحي»،

والهالة، والعلاقة بين الروح والجسد والعقل؛ أعرضها كما عشتها، وأدعوك إلى أن تتأمل فيها، وأن تطرح أسئلتك الخاصة.

أؤمن بأن الحياة تشبه لعبة، ننتقل فيها من مستوى إلى مستوى؛ في كل مستوى نتعلم شيئًا، ونواجه أنفسنا بطريقة جديدة، وربما نكتشف أن ما كنا نعدّه نهايةً لم يكن إلا بدايةً أخرى. وفي جزء من اللعبة، تلتقي بشخص واحد فقط. يختارك وتختاره، ليكمل معك إلى النهاية، وأنتما في المستوى نفسه من الوعي والرؤية. وكلما التفتّ، وجدته بجانبك.

يبقى معك شخص واحد، ينتقل معك إلى كل المستويات.

وهنا سرّ الاستمرار: الشخص الذي يكمل معك كل مستويات اللعبة. إن وجدته، فحافظ عليه، فهو حقًا مميز.

وفي هذا الكتاب، سأطلعكم على الشخص الذي التقيت به، وارتقى معي إلى كل المستويات.

أصف نفسي بأنني بذرة من بذور النجوم، وخادمة للنور. وأشعر أن بين البشر خيطًا من التجربة المشتركة؛ قد تختلف حكاياتنا، لكننا نلتقي في الخوف والأمل والألم والرغبة في السلام. أنا وأنت في مكان واحد. أشعر بك وبكل ما تحس به، وأرى تلك الهالة التي تحيط بك؛ نورك قوي مشع.

هذا الكتاب ليس محاولةً لتقديم حياة مثالية، ولا ادعاءً بأنني أملك إجاباتٍ عن كل شيء. لا أريد أن يكون الألم غاية الحكاية، بل أن أضيء على ما تعلّمته منه. فإن وجدتَ في كلماتي ما يشبهك،

فخذ منها ما يساعدك، واترك لنفسك حق السؤال والاختلاف. لستُ أكتب لأختار عنك طريقك، بل لأشاركك جزءًا من طريقي.

ولعلك لاحظت الرقم 777 على غلاف هذا الكتاب. اخترته لأنه يحمل لي معاني قريبة من رحلتي. ففي بعض المعتقدات يرمز إلى الارتقاء الروحي: التعمّق في معرفة الذات، والبحث عن المعنى الأعمق للحياة. ويُربط بالحدس والحكمة الداخلية؛ بالإنصات إلى صوتك الداخلي، والتأمل قبل اتخاذ القرارات. وتعدّه بعض المدارس الروحانية تذكيرًا بالنمو والتغيير، وبمراجعة أفكارك وعاداتك، والتقدّم نحو أهدافك. ويفسّره آخرون رمزًا للتوافق الداخلي، أي الانسجام بين الأفكار والمشاعر والأفعال. وفي بعض تفسيرات الأرقام، يرتبط بالحظ والوفرة والفرص الإيجابية.

هذه رموز يراها بعض الناس في هذا الرقم، وأنا وجدت فيها ما يشبه حكايتي: صوتًا داخليًا، وصحوة، وتغييرًا، وانسجامًا بعد طول صراع.

هيا بنا نبدأ رحلة التنوير وفك القيود الفكرية؛ رحلةً لا تعدنا بأن كل شيء سيصبح سهلًا، لكنها تدعونا إلى أن ننظر إلى ما نؤمن به، وإلى ما نعيشه، بوعيٍ أعمق وقلبٍ أكثر صدقًا.

الجزء الأول

الجذور

دنيا الطفلة · الأم · الزواج · الصوت الداخلي

الجذور

أنتقل بكم إلى سنين مضت، إلى طفولة بنت اسمها دنيا.

نشأت دنيا في وسط عادي كأي وسط: عائلة من أربعة أفراد، أم وأب وأخ أصغر منها.

كانت طفولتي، مثل طفولات كثيرة، طفولة مشوّهة، لكنها طفولة اختارت أن تخرج إلى العلن، وأن تتكلم.

كانت أسرة مفككة مشتتة. الأب يريد أن يحقق أحلامه، لأن هذا ما يراه صحيحًا. والأم تريد أن تحافظ على الأسرة، بالعقلية التي نشأت عليها وتبرمجت بها. وقلة الموارد المادية زادت التفكك عمقًا.

كان أبي يعاني من قلة الوعي في التعامل مع الأسرة؛ لم يفهم معناها. وهذا لم أفهمه إلا حين كبرت ووعيت، فهو يرجع إلى مجتمع لا يعطي الناس الأساس الذي يحتاجونه ليكونوا أسرة. كان يفكر فيما يراه هو صحيحًا. لم أرَ منه الأمان، ولا السند المادي. لكنني أحبه، وليست لي مشكلة معه، وقد سامحته من كل قلبي.

وهذا لا يمنع أنني عشت طفولتي في نقص مادي عميق. لم يفكر أبي في حل جماعي ينقذ الأسرة كلها، بل اختار حلًا ظنّ أنه سينقذها، فكان ذلك الحل نفسه هو ما شتّتها.

أنا لا ألومه، ولا أريد لأحد أن يلوم أحدًا. كل ما عشناه كان طريقًا مررنا به لنصل إلى ما نحن عليه اليوم. جروحي لم تكن ذنبي، لكن شفاءها

أصبح مسؤوليتي أنا: أن أعالج نفسي، وأن أعرف دوري، وأن أفهم نفسي جيدًا.

كانت طفولة بلا مأوى.

لم يكن لنا بيت خاص، ولا غرفة لي. وكنت أشعر أنني ثقيلة على جدي وجدتي. ربما لم يكن هذا هو الواقع، فقد عاملوني بطريقة جيدة، ولم يُشعروني بذلك يومًا، لكنه كان إحساسي أنا؛ إحساس طفلة تبحث عن مكانها. هم في الأول والأخير جدي وجدتي، وبمثابة والديّ، لكن والديّ البيولوجيين شخصان آخران، وهما المسؤولان عني ماديًا. كان الأمر صعبًا جدًا عليّ. ومع ذلك، أنا ممتنة لجدي وجدتي على كل شيء، وأحبهما من أعماق قلبي.

هذه هي البداية التي نشأت بها دنيا، والتي نشأ بها كثيرون في هذا العالم: طفولة مشوّهة، وعائلة مفككة، وضيق مادي، ووعي منخفض جدًا.

فهذه ليست دنيا وحدها، بل هناك دنيات كثيرات في العالم.

وإليك أنت، يا من تقرأ هذه الكلمات: لستَ وحدك. هذه الطفولة لم تعشها أنت وحدك، فهناك كثيرون مثلي ومثلك. أنا فقط تكلمت بصوتي وبصوتهم.

ما عشناه في طفولتنا لم يكن ذنبنا، وألمه حقيقي. لكن ما نفعله به بعد أن نكبر هو اختيارنا. لم أرد لطفولتي أن تكون عنزًا لأؤذي أحدًا، أو لأتوقف عن السعي، مهما كانت بائسة.

بل أردتها أن تكون ما يجعلني الأفضل، والأقوى، والأرزن.

بدأت حياتي بنقص كبير. كنت أريد لتلك الطفلة أن تكبر، لتغيّر نفسها، وتمسك بيد أسرتها، وتحسّن وضعهم المادي. لكنني لم أدرك أنني أحتاج إلى أن أساعد نفسي أولًا، كي أعيش حياة تستحق أن تُعاش، وأفهم تجربتي. لم أشعر بالأمان في طفولتي أبدًا؛ كنت دائمًا خائفة.

ترون هذه الطفولة الخالية من الطفولة.

لم يكن هناك بيت يشعرني بالأمان.

وحدها أمي كانت أماني.

أمي علّمتني الحب، والرحمة، والصبر. ومهما نقصت طفولتي، لم ينقصني ما زرعته فيّ. ولا أستطيع أن أحكي عن طفولتي دون أن أعطيها حقها.

وكنت خائفة من فقدان الأمان في حياتي.

وقفة للقارئ

ما الخوف الذي حملته من طفولتك، ولا يزال يقود قراراتك اليوم؟ أجب بينك وبين نفسك.

الزواج والصوت الداخلي

قبل الزواج، درست وتخرجت من الجامعة. كانت أمي تعمل ليل نهار لتوفر لي مصروفي، كي أدرس وأتخرج.

ثم قررت، بلا وعي طبعًا، أن أتزوج شخصًا لم أكن أعرفه من قبل. تزوجته دون أي شروط، لأنني لم أكن قد اكتشفت نفسي بعد، ولا عرفت ذاتي.

أنجبت طفلتي الأولى في أول سنة من زواجي، وطفلي الثاني بعد عامين. وكنت أظن أن الحياة الطبيعية هي هذه: أبناء، وبيت يسترني، وطموح محدود. لم أكن أتوقع الأفضل. كانت الأمور هادئة، ووعيي منخفضًا، وما زلت لا أفهم لماذا أعيش.

لكن مع كل سنة تمر، صرت أكتشف نفسي أكثر. وصارت تأتيني أسئلة كبيرة وعميقة، وصوت في داخلي يتكرر ويصرخ:

هذا ليس مكانك، هذه ليست أنتِ.

هل هذا مستوى طموحك؟ أطفال وصبر وتضحية؟ هذا ما رأيت أمي عليه، فكيف سأعرف غيره؟

هنا جاءتني الصحوة، وهنا بدأ التغيير. بدأت المصابيح تضيء في عقلي، وصرت أرى الحياة بشكل مختلف.

الشخص الذي كان معي لم يكن يتحمل مسؤولية أولاده. أو بالأحرى، سقط القناع وظهر وجهه الحقيقي حين ظهرت المسؤولية الحقيقية، يوم دخلت ابنتي المدرسة. لم يقدر على التكاليف،

رغم أنها أشياء أساسية وعادية: المدرسة، والإيجار، والأكل، والصحة. لم يقدر عليها، أو لعله اختار ألا يقدر عليها.

فصرت أساعده في البيت، ظنًا مني أن هذا ما تفعله الزوجة الصالحة. ثم انتقلت من المساعدة إلى حمل البيت كله على عاتقي، بمساعدة أمي. ووجدت أن هذا عار على المنظومة الأسرية، وعلى معنى الزوج، وعلى معنى الرجولة.

وحين صرت أطالبه بأن يتحمل مسؤوليته، صار يقول إنني إنسانة تريد أن ترى خارج الصندوق. لم يكن من حقي أن أعبّر عن أفكاري بوضوح؛ كل فكرة جديدة كانت تُعدّ تمردًا مني كزوجة. وهذا ما نشأت عليه أيضًا، باسم فهمٍ خاطئ للدين: لا تتمردي، أطيعي، لا تتمردي بأفكارك.

كنت أشاركه أفكاري، وهو الذي كان يُفترض أن تجمعني به رؤية واحدة، لكنني في كل مرة كنت أتلقى رفضًا غير مباشر، وقبولًا باللسان فقط. شخص لا يفهمك.

والحقيقة أنني لم أكن الزوجة المطيعة التي أرادها. كنت متمردة جدًا في أفكاري، دون أن أعرف بعد ماذا أريد.

وما زال ذاك الصوت يناديني:

أنتِ لستِ امرأة عادية، أنتِ لستِ قصة أم تُعاد، أنتِ دنيا، وما خُلقتِ لهذه الحياة.

أنا متمردة بطبعي. لكن القدر قادني إلى رجل غير مسؤول.

الجزء الثاني

الصحوة

هدم القاموس · الله من جديد

هدم القاموس

وأدركت أن مكان دنيا هو التغيير، والقتال، والكفاح من أجل الحياة. لم أعد وحدي؛ معي طفلان، ومسؤولية مدارس وعيش وتربية. كأن عدم شفائي من طفولتي قادني إلى مسؤولية جديدة، أكبر وأقوى.

في مرحلة ما، بدأ كل شيء بصمت. صراع داخلي، بل حرب مع النسخة الجديدة مني؛ نسخة تريد أن تقتل النسخة القديمة. صرت أعيش في عوالم مختلفة، وأرى العالم من فوق، كمتفرجة.

أصبحت أرى الكل مثل الدمى المتحركة، لا شيء حقيقي.

تغيّرت كل مفاهيم الحياة، وكل ما عشته على أنه حقيقي لم أعد أشعر بحقيقته، كأن كل شيء تمثيل. لكنه لم يكن جنونًا؛ كانت فقط فترة صحوي، واكتشافي لنفسي وللحياة.

النمط الذي اعتدته في حياتي، من نجاح وحياة وفشل، تغيّر كله. أصبحت الحياة بلا معنى، فصرت أريد معنى أشاركه: أن أنقل التجربة إلى غيري.

أتعلم ما أقوى مرحلة وأظلمها في حياة الإنسان؟ أن يُمسح كل قاموس حياتك الذي تعلّمته، لتنشئ قاموسًا جديدًا، وتقرر الحياة أن تعلّمك من جديد.

ولا أظن أن هناك ما هو أصعب منها، عليّ أو على أي إنسان.

الصحوة: حين يتغيّر القاموس الذي أعيش به

ما الصحوة الروحية بالنسبة إليّ؟

هي ذلك الشيء الذي أزاحني عن الأفكار التي نشأت عليها، وكأن أحدهم جاء يومًا، ومحا القاموس الذي عشت به طوال حياتي، ثم قال لي: ابدئي من جديد، فليس كل ما تعلّمتِه هو بالضرورة ما يشبهك، وليس كل ما اعتدتِ عليه هو الحقيقة التي يجب أن تعيشي بها.

فجأة، لم تعد المفاهيم كما كانت.

تغيّر مفهوم النجاح لديّ، وتغيّر مفهوم الحب، والاستقرار، والعمل، والعلاقات، وحتى الطريقة التي كنت أنظر بها إلى الحياة نفسها. أشياء كنت أظنها بديهية صارت تستوقفني، وأفكار كنت أتمسك بها بدأت أفحصها من جديد. لم أعد أريد أن أعيش وفق معانٍ ورثتها، دون أن أسأل نفسي إن كانت تعبّر عني حقًا.

هذه هي الصحوة الروحية بالنسبة إليّ: أن تستيقظ، فتكتشف أنك كنت ترى الحياة من خلال قاموس لم تكتبه بنفسك.

لم تكن صحوتي مجرد أفكار جديدة، بل رحلة عودة إلى الداخل. كأنني، وسط كل ما تغيّر حولي، بدأت أقترب من روحي أكثر، وأصغي إليها بطريقة لم أعرفها من قبل.

كنت أنظر إلى كثير من الأشياء بسطحية؛ أرى ظاهر العلاقات، وأحكم على الأمور من صورتها الخارجية، دون أن أتعمق في معانيها وما تخفيه تلك الصورة. لم أكن أرى العمق كما أراه اليوم، ولم أكن أطرح على نفسي الأسئلة نفسها.

ثم بدأت أستيقظ.

لم تعد الصورة الخارجية تكفيني، ولم يعد الاسم الذي نطلقه على الشيء يعني لي أنه حقيقته. صرت أسأل: ما الحب فعلًا؟ ما النجاح؟ ما الاستقرار؟ وهل يمكن أن أملك كل ما يراه الناس نجاحًا، وأنا أشعر في داخلي أن شيئًا ما لا يشبهني؟

لم تكن الصحوة أن أعرف كل الإجابات، بل أن أملك الشجاعة لأعيد النظر في الأسئلة، وأن أسمح لنفسي بأن أكتشف الحياة من جديد.

لقد تغيّر القاموس، ومعه تغيّرت دنيا.

لم أعد أريد أن أعيش فقط كما تعلّمت أن أعيش، بل أن أفهم لماذا أعيش بهذه الطريقة، وما الذي أختاره بإرادتي، وما الذي أحتاج إلى أن أتحرر منه حتى أقترب من نفسي أكثر.

صحوت إلى روحي، فبدأت أرى الحياة بعينين جديدتين؛ لا لأن العالم تغيّر فجأة، بل لأن المعاني التي كنت أراه من خلالها تغيّرت في داخلي.

وقفة للقارئ

ألم تسأل نفسك يومًا: ماذا أريد من هذه الحياة؟ هل أنا في المكان الصحيح، أم في مكان مزيف؟ هل أنا مرتاح فيما أعيشه؟

وأطرح عليك سؤالًا أطرحه على كل إنسان: هل ما تفعله هو ما كنت تريده، أم ما أرادك الناس عليه؟

يا رب، هل أنا في الطريق الصحيح؟

لم أكن أطلب الكثير. كنت أقول له: أرشدني إلى الطريق الصحيح، أرني النور، أعطني إشارة. دلّني يا رب، فأنا لا أعرف إن كنت أسير في الاتجاه الصحيح أم لا.

كنت أريد أن أفهم، وأن أطمئن، وأن أشعر بأنني لست تائهة في طريق لا أعرف نهايته. لم أكن أملك كل الإجابات، ولم أكن أعرف إلى أين ستقودني هذه الرحلة، لكنني كنت أعود إلى الله بأسئلتي، وأطلب منه الهداية.

كل ما كنت أريده أن أرى النور، وأن أعرف كيف أمضي.

وهكذا عشت أيامًا من الصحوة، بين أسئلة لم أجد لها إجابات فورية، ورغبة عميقة في الفهم، وقلب يتمنى الهداية.

لم أجد الإجابات التي كنت أطلبها من الله، حتى بعد أن بدأت أعيش تجارب غيّرت حياتي. كنت لا أزال في رحلة اكتشاف؛ أكتشف نفسي، وأكتشف وعيي، وأحاول أن أفهم كل ما أعيشه. كنت أراقب ما يحدث في داخلي، وأسأل نفسي عن معناه، وأحاول أن أميّز بين ما أراه إرشادًا، وما قد يكون فهمًا لم يكتمل بعد.

وكنت أعود إلى الله وأكرر: يا رب، أرني النور. أرشدني إلى الطريق الصحيح. كنت أريد أن أعرف، ولم أكن أعرف أن الوصول إلى الإجابة قد يستغرق وقتًا، وأنني سأمرّ بتجارب كثيرة قبل أن أفهم ما كنت أبحث عنه.

وهنا أريد أن أتوجه إليك، أيها القارئ، بسؤال:

وقفة للقارئ

هل شعرت يومًا أنك تلتمس الإرشاد من الله، وأنك في كل مرة ترى فيها شيئًا، تقول في نفسك: هذه هي الإشارة، هذا هو الطريق، هذه هي الإجابة التي كنت أنتظرها؟ ثم تمضي، لتكتشف لاحقًا أنك لم تفهم الأمر كما ظننت؟

لقد عشت هذه الحيرة. كنت أبحث عن النور، وأظن أحيانًا أنني وجدته، ثم أكتشف أنني ما زلت في الطريق، وأن فهمي لم يكتمل بعد.

إلى أن يأتيك النور الحقيقي؛ النور الذي كنت تسأل الله عنه منذ البداية، والذي كنت تتمنى أن تراه وأنت لا تزال تحاول أن تفهم.

عندها، ربما لن تنظر إلى رحلتك بالطريقة نفسها. ستفهم أن ما مررت به كان جزءًا من تجربتك، وأنك لم تكن تملك الإجابات كلها منذ اللحظة الأولى.

أما أنا، فكنت أتعلم كيف أقرأ ما أعيشه. لم أصل إلى كل شيء دفعة واحدة؛ كنت أعيش الرحلة، وأحاول أن أفهمها، حتى يتضح لي ما كنت أبحث عنه.

الله من جديد

حين تغيّرت علاقتي بالخالق

كان الدين من أول الأشياء التي تغيّر مفهومها في وعيي.

لم يكن الأمر تغييرًا في أفكاري فقط، بل في علاقتي برب الكون. بدأت أسأل نفسي: هل علاقتي بالله مجرد صلوات أؤديها، وسجود أفعله لأن هذا ما تعلّمته؟ أم أن هناك معنى أعمق لم أقترب منه بعد؟

كنت أؤدي ما تعلّمت أنه واجب عليّ. حتى في الأيام التي لم أكن أرغب فيها في الصلاة، كنت أصلي لأنني أعتقد أن هذا ما يجب أن أفعله. لكنني

لم أكن أفهم دائمًا ما الذي أبحث عنه في تلك اللحظات، ولا كيف أعيش علاقتي بالله بشعور يتجاوز أداء ما اعتدت عليه.

ثم بدأت الصحوة تغيّر نظرتي.

أدركت أن الدين، كما بدأت أفهمه وأعيشه، لا ينفصل عن حب الله، وحب عباده، والصدق في التعامل معهم. بدأت أبحث عن المعنى الذي يصل العبادة بالقلب، وعن علاقة لا تقوم على الفعل وحده، بل على ما يحمله الإنسان في داخله من صدق ومحبة وتأمل.

ورغم أن في داخلي عشقًا كبيرًا لرب الكون، لم أكن قد فهمت، كما أفهم اليوم، معنى الحب الإلهي والعشق الإلهي.

ثم تغيّر شيء في داخلي.

أول ما فهمته أن الله لم يخلقني كي يعذبني، كما كنت أظن. ربي نفخ فيّ من روحه كي أكون في أقوى حالاتي.

نشأت على تصورات جعلتني أخاف من بعض الأسئلة، وأربط بين التفكير خارج المألوف والعقاب. حملت أفكارًا جعلتني أخشى أن أختار لنفسي، أو أن أراجع ما تعلّمته، كأن التفكير المختلف قد يبعدني عن الله.

وكان هذا الخوف حاضرًا في بعض قراراتي، حتى في حياتي الشخصية. بقيت في مواقف لم أكن مرتاحة فيها، ومنها زواجي، لأنني كنت أخشى أن يكون خروجي منها مخالفة لما يريده الله مني. بل إن زواجي نفسه، بالطريقة التي تزوجت بها، كان برمجة.

لكن الصحوة دفعتني إلى إعادة النظر في تلك الأفكار، وأعتقتني.

بدأت أفرّق بين علاقتي بالله والتصورات التي تعلّمتها عنه، وبين الإيمان الذي ينبع من داخلي والخوف الذي تشكّل في نفسي مما سمعت وتعلّمت. لم أعد أريد أن أكتفي بترديد ما قيل لي؛ أردت أن أفهم، وأن أتأمل، وأن أبحث بصدق.

بدأت أكتشف أنني أستطيع أن أراجع أفكاري دون أن أتخلى عن علاقتي بالله، وأن أسأل دون أن أجعل الخوف وحده يقودني.

وهنا بدأت أرى علاقتي بالخالق من زاوية مختلفة. لم أعد أريدها واجبات أؤديها كي أتخلص من شعوري بالتقصير، بل علاقة أعيش فيها المعنى، وأبحث فيها عن المحبة والصدق والطمأنينة.

لم تكن الرحلة اكتشافًا لكل الإجابات دفعة واحدة، بل بداية أسئلة جديدة، ورغبة أعمق في الفهم والتعلّم والتغيير.

أدركت أن الله أراد لي أن أتغيّر، وأن أفهم، وأن أتعلم، وأن أراجع أشياء كثيرة في حياتي.

في داخل كل إنسان نفخة من روح الله؛
وهي الجوهر.

كأنني كنت أعود إلى السؤال الأول، لكنني هذه المرة أحمله بوعي مختلف.

إذا سألتَ سؤالًا خارج الصندوق، خاف عليك بعض الناس، وربما شكّوا في إيمانك. وإذا فكرتَ خارج حدود ما اعتادوه، صرتَ في نظرهم متمرّدًا. كأن السؤال خطيئة، وكأن التفكير لا يجوز له أن يتجاوز الدائرة التي رسموها لك: لا تسأل عمّا وراءها، لا تقترب من المساحات التي لم يسمحوا لك بدخولها، ولا تحاول أن تعرف الله بقلبك أنت.

وهذا بالضبط ما تمرّدت عليه.

تمرّدت على خوفي من السؤال، وعلى فكرة أن الاقتراب من الله يعني ألّا أفكر، وأن الإيمان يعني ألّا أبحث، وأن الحب لا بد أن يمرّ من خلال الخوف.

لكنني أحب الله الذي خلقني. أعشقه عشقًا أرى أثره في الطريقة التي أعامل بها خلقه. هذا العشق يجعلني أختار الحب والرقي والصدق، حتى حين لا ينتظرني أحد عند نهاية الطريق، وحتى حين لا يراني أحد.

أتعامل مع الناس وكأن الله معي، وكأنه يراني؛ لا لأنني أخاف أن يعاقبني، بل لأنني أريد أن يكون هذا الحب حاضرًا في أفعالي، وفي كلماتي، وفي الأثر الذي أتركه في قلوب الآخرين.

لم يكن تمرّدي رغبةً في الابتعاد عن الله، بل في الاقتراب منه دون أن يحكم الخوف علاقتي به. أردت أن أعرفه، وأن أحبه، وأن أفهم علاقتي به بعيدًا عن الرعب من السؤال، وأن أكتشف كيف يجعلني هذا الحب إنسانةً أكثر رحمةً ووعيًا وصدقًا.

ربما كانت تلك بداية علاقتي بالله من جديد: أن أكتشف أن أسئلتي لا تلغي حبي له، وأن بحثي لا يعني أنني أبتعد عنه، وأن الحب الذي أحمله له يجب أن يظهر، قبل كل شيء، في الطريقة التي أعامل بها خلقه.

وقفة للقارئ

هل الدين الذي تعيش به اليوم هو ما اخترته عن فهم وقناعة، أم ما وجدت نفسك عليه لأن عائلتك نشأت عليه وورّثته لك؟

حين تصلي، هل تستحضر علاقتك بالله، أم تشعر أحيانًا أنك تؤدي ما اعتدت عليه دون أن تتوقف عند معناه؟

هل عرفت الله حق معرفته، أم اكتفيت بأعداد من الاستغفار تحسبها، ألفًا وألفين وثلاثة آلاف، من دون أن يحضر قلبك معها؟

ومتى كانت آخر مرة منحت فيها نفسك لحظة هدوء، بعيدًا عن الضجيج، لتراجع علاقتك بالخالق بصدق؟

هل تستشعر هذا الحب في كل ذرة من جسمك؟ هل تبحث عن المعنى، أم تكتفي بتكرار ما تعرفه؟

لا أطرح عليك هذه الأسئلة لأحكم على إيمانك، ولا لأقول لك كيف يجب أن تكون علاقتك بالله. أطرحها لأنني طرحتها على نفسي، ولأنها كانت جزءًا من رحلتي في إعادة اكتشاف علاقتي بالخالق.

ربما لا تبدأ الصحوة بأن تجد كل الإجابات، بل بأن تملك الشجاعة لتسأل، والرغبة في أن تفهم، والصدق في أن تعترف لنفسك بما تشعر به حقًا.

الجزء الثالث

التحرر

دنيا المنفصلة · بعد الطلاق · رسائلي

الانفصال

تغيّر مفهومي للدين والمجتمع والأمومة والحياة، وتبدلت كل أفكاري. تملكتني روحانيات لا أعلم أكانت عادية أم لا. كنت كأنني أغسل دماغي، وكأنني لم أعد أنا. هل تفهم معنى أن تتغير المفاهيم عندك؟ لا يشعر بهذا إلا من جرّبه. وقبل انفصالي عشت فترة اتصال روحي عميق؛ كنت وسط عائلة، لكن في غربة موحشة.

الانفصال ليس فكرة مطروحة فقط، بل شعور يأتيك حين تجد نفسك مع الشخص الخطأ، بعد أن ارتفع وعيك كثيرًا، وهو لا يزال في وعي منخفض. لا تعود تجمعكما الرؤية نفسها؛ تفتحان النافذة معًا، فترى أنت شيئًا ويرى هو شيئًا آخر، ولا يكون بينكما

تطابق. وهذا مؤلم حقًا، وهو من أكبر العلامات على أنني لم أكن في المكان الصحيح. وأنا هنا أخاطب المرأة والرجل معًا، ولا أتحيز لأي طرف.

لحظة القرار

كانت الصحوة تعلّمني أن أعيد النظر في حياتي، لا لأحاكم ماضّي، بل لأفهمه. بدأت أرى أن بعض القرارات التي اتخذتها كانت امتدادًا لما تربيت عليه، لما اعتقدت أنه الطريق الطبيعي الذي ينبغي أن أسلكه، دون أن أتوقف طويلًا لأسأل نفسي: هل هذا ما أريده حقًا؟

ومع اتساع وعيي، أدركت أن الإنسان ليس ملزمًا بأن يقضي عمره متمسكًا بقناعة لمجرد أنه ورثها؛ من حقه أن يسأل، وأن يراجع أفكاره، وأن يعترف لنفسه حين يكتشف أن طريقًا ما لم يعد يناسبه.

كان عليّ أن أتعلم الفرق بين أن أعيش وفق ما يُنتظر مني، وأن أعيش وفق ما أؤمن به بعد أن أفكر وأفهم وأعي.

وهنا بدأ تمردي؛ لم يكن تمردًا على الحياة، بل على فكرة أن حياتي يجب أن تسير وفق قالب واحد. بدأت أستعيد حقي في الاختيار، وفي أن أكون مسؤولة عن قراراتي، حتى حين تختلف عن الصورة التي رسمها الآخرون لي.

لم تكن الرحلة سهلة، لكنها علمتني أن الوعي لا يغيّر ما حدث في الماضي، بل يغيّر الطريقة التي نفهم بها الماضي، وما نختاره لأنفسنا بعده.

ومنذ ذلك الحين، لم أعد أرى التغيير خيانة لما كنت عليه، بل شجاعة أن أكون صادقة مع نفسي، وأن أسمح لروحي بأن تنمو.

جاء قرار الطلاق بعد قناعة كبيرة بأنني لست في المكان الصحيح، وأننا لم نكن متفقين كزوجين. كنت أرى أمامي شخصًا لا يملك الرؤية التي أبحث عنها، ولا يتحرك نحو المستقبل الذي أطمح إليه. شعرت أنني في مكان لا يشبه طموحاتي، ولا يشبه الحياة التي أريد أن أعيشها.

لكن ما حسم الأمر في داخلي لم يكن اختلاف الطموحات وحده، بل إدراكي أنني لست مجبرة على البقاء مع شخص بقية حياتي لمجرد أنني تربيت على أن هذا هو الطريق الذي ينبغي أن أسلكه.

لماذا أبقى في علاقة لا نتفق فيها كزوجين، فقط لأنني تعلمت أن الزواج يجب أن يستمر؟ ولماذا أعيش حياة لا أريدها، لأن هذا ما اعتقدت أن عليّ فعله؟

وفي هذا القرار ظهر تمردي الحقيقي. لم أعد أقبل أن تقرر تربيتي عني، ولا أن يكون ما اعتدت عليه أقوى من قناعتي بما يناسبني. فهمت أن ما تربيت عليه ليس الخيار الوحيد، وأن من حقي أن أنظر إلى حياتي بوعي، وأن أختار ما أراه صحيحًا لي.

لم أعد أرى وجودي معه إلا من خلال الشفقة. شفقة كبيرة، لكنها لم تكن سببًا كافيًا لأبقى. فالشفقة ليست توافقًا، وليست حبًا يعيد بناء علاقة، وليست أساسًا أستطيع أن أبني عليه بقية عمري.

وحين قررت أن أنطلق، بدأت مواجهة لم تكن سهلة. الشخص الذي تبرمجت على العيش معه، رغم كل العيوب وقلة المسؤولية، وجدت نفسي أمامه كأنني أمام خصم يحاربني، ويتمنى لي

السقوط، ويوجه إليّ كلامًا لا يشبهني. وامتدت المشكلات إلى حقوق أطفالي المادية، وإلى أعباء وجدت نفسي أواجهها وحدي بعد الانفصال.

كانت ظروفي صعبة، لكنني كنت أحمد الله كل يوم لأنني انفصلت.

هل تعرفون هذا الشعور؟ أن تكون ظروفك قاسية، والطريق أمامك مليئًا بالتحديات، ومع ذلك تحمد الله لأنك لم تعد في المكان الذي لم يكن مناسبًا لك؟

لم أكن أشكر الله لأن كل شيء أصبح سهلًا، بل لأنني اتخذت القرار الذي أؤمن به. لم أعد أريد أن أعيش بقية عمري تحت سلطة فكرة موروثة تقول لي إن عليّ البقاء، حتى وأنا أعلم في داخلي أنني لست في مكاني الصحيح.

ومع كل ما حدث، أنا لا أحمل الحقد عليه. أنا مسامحة له. ومسامحتي لا تعني أن ما حدث لم يؤلمني، ولا أنني أوافق على ما جرى، بل تعني أنني لا أريد أن يحدد الماضي ما تبقى من حياتي.

كان الطلاق بالنسبة إليّ أكثر من نهاية زواج؛ كان قرارًا بألّا أترك ما تربيت عليه يختار حياتي بدلًا مني.

بعد الطلاق

بعد الطلاق عانيت حقًا. ولا أتكلم هنا عن شخص بعينه، بل عن تجربة قوية، وعن الحالة نفسها. وحين أسرد قصتي، فأنا أنقل معاناة كثيرين في هذا العالم.

عانيت، وعملت في أماكن أقل مما طمحت إليه، رغم أن أمي درّستني كي أكون دائمًا في القمة، وهذا أمل كل أم وأب.

أبٌ تخلّى عن مسؤوليته وألقاها على أم عشرينية، وكأنه يراهن على أنها ستفشل. لكن الله كان أكرم وأقوى. انتقلت إلى منزلي الجديد من دون أي شيء، وجمعت أولادي تحت سقف واحد، وكلي أمل.

لن أكذب، أُحبطت في البداية. كلما حاولت أن أعمل، كان الراتب قليلًا ولا يناسبني. وتجارتي التي كانت تُدخل لي المال توقفت. أصبحت من دون أي شيء. قاتلت كثيرًا. وفتاة جميلة في العشرينات، إذا حاولت أن تعمل، تتعرض حتمًا لكثير من التحرش. لكن بقي في داخلي إيمان

بأنني، رغم كل شيء، سأنجح. نعم، ولن أتغير، ولن أضعف، ولن أفشل، ولن أكون ضحية أبدًا. هذا غير مقبول.

أتذكر تلك الأيام جيدًا.

كنت أبكي بقوة من كثرة المصاريف والتفكير، وأرى أن تسع سنوات من عمري مرّت. أتلفّت إلى اليسار فأجد بنتي، وإلى اليمين ابني.

كنت أشتري الماء بالتقسيط عن طريق تابي، من دون فوائد.

هل تتخيل أن الماء سعره درهم، ولم يكن عندي؟

ولم أكن أتلقى منه قرشًا واحدًا، ولا حتى قنينة ماء، لا شيء، رغم القضايا التي بيني وبينه في المحاكم؛ قضايا لم أرفعها لأن لي معه مشكلة، بل لأطالب بحق من حقوق أولادي.

ولم أكن أتلقى منه قرشًا واحدًا، ولا حتى قنينة ماء، لا شيء

كنت أعاني، وكلي ثقة. لم أُنقص أولادي شيئًا، ولم أختر أن أرجع إلى أهلي وبلدي وأعيش حياة أمي، بل حاربت من أجل أمل كبير.

كنت أشعر بالعجز وبالقوة معًا. قد ترى في هذا تناقضًا، لكن الحقيقة أن العجز كان في الواقع، والقوة كانت في الإرادة والشجاعة والعزيمة.

العجز كان في الواقع، والقوة كانت في الإرادة والشجاعة والعزيمة.

وأنا نفسي أتفاجأ اليوم: كيف كنت بهذه القوة وهذه الثقة؟ لم أمدّ يدي يومًا لأحد، أيًّا كان.

كنا وحدنا، أنا وأطفالي؛ وحيدين وضعفاء. لكنني كنت أُظهر لهم القوة، والحب، والطيبة. أحبهم كثيرًا، أطفالي.

انتقل أولادي إلى بيت رائع، وهيّأت لهم بيئة جميلة، بفضل الله وأمي. نجحت في الحفاظ على نفسيتهم، وفرحوا كثيرًا. كنت دائمًا أجلس معهم، وأشرح لهم الحقائق، وأنمّي وعيهم. كنت أناقشهم، لأنني لا أريدهم أن يكونوا ضحايا. أريدهم واعين، لا يأخذون حياتهم كمأساة، بل كدافع قوي إلى النجاح.

كنت آخذ ورقة وقلمًا وأشرح لهم دور المرأة ودور الرجل في الحياة. لم أكذب عليهم في شيء، بل حاورتهم بعقل ووعي وحب. لم يكن غرضي أن أقول عن أبيهم كلامًا سيئًا، بل أن أكون صريحة كليًا في حياتنا، وأن يعي ابني وبنتي دورهما.

ابني الصغير قلت له: أنت رجل، يجب أن تتحمل مسؤوليتك بقوة في حياتك، ولا تنتظر أحدًا من الخارج. علّمته أن يحترم المرأة ويقدّرها، وأن يرسم لنفسه مبادئ في حياته. طفل في الخامسة والنصف.

وابنتي كذلك، علّمتها أن الحب لا يُطلب بل يُعطى، وأن المرأة يكفيها أن تشعر بهذا، وألّا تعيش في دوامة غياب الأب، بل أن تفهم أن هذا شيء أرسله الله لنا كي تكون أفضل نسخة من نفسها.

الحب لا يُطلب بل يُعطى

ومن هنا أقول لكل أم: لا تربّي أولادك على أن يكونوا ضحايا، بل على أن يجدوا الحلول. نمّي وعيهم.

لم أتخلَّ عنهما يومًا

أنا أعلم تمامًا كم كان الأمر صعبًا على طفليّ. أعلم أن الانفصال ليس قرارًا يمرّ على الأم وحدها، ولا تجربة تخص الأب والأم فقط؛ فهناك قلوب صغيرة تعيش التغييرات، وتحاول أن تفهم عالمًا لم تختر ما حدث فيه.

لم أكن أريد أن أستخف بما شعرا به، أو أن أتصرف وكأن كل شيء كان سهلًا عليهما. كنت أعرف أن لكل طفل طريقته في فهم ما يحدث، وأن ما لا

يستطيع التعبير عنه بالكلمات قد يبقى في داخله على هيئة أسئلة، أو مشاعر لا يعرف كيف يشرحها.

لكنني، وسط كل ما مررنا به، كنت أريد أن أعلّمهما معنى القوة في الضعف.

أردت أن يفهما أن القوة لا تعني ألّا نحزن، ولا أن نتظاهر بأننا بخير طوال الوقت. القوة أن نعترف بألمنا، وأن نمنح أنفسنا الحق في الشعور به، ثم نحاول أن نواصل حياتنا دون أن نسمح له بأن يحوّلنا إلى أسرى للماضي.

كنت أريد أن يتعلما أن الظروف، مهما كانت صعبة، لا يجب أن تصبح هويتنا، وأن الإنسان يستطيع أن يستمد من تجاربه قوة تساعده على النضج، بدلًا من أن يعيش طوال عمره أسيرًا لما حدث له.

لم أرد لهما أن يكبرا وهما يشعران بأنهما ضحيتان، ولا أن يحملا ألم تجربتنا باعتباره قدرًا لا يمكن تغييره. أردتهما أن يعرفا أن الحياة قد تضعنا أمام أمور لم نخترها، لكننا نستطيع، مع الوقت والوعي والدعم، أن نتعلم كيف نتعامل معها، ونبني مستقبلنا.

لم يكونا أول طفلين يعيشان ظروفًا عائلية صعبة، ولن يكونا الأخيرين. هناك أطفال كثيرون يمرّون بتجارب مشابهة، ولكل أسرة حكايتها الخاصة. لكن ما كان يهمني في حكايتي أنا هو أن يعرف طفلاي حقيقة واحدة لا أريد أن يشكّا فيها أبدًا:

أنا لم أتخلِّ عنكما.

قاتلت من أجلهما، ولا أزال أقاتل من أجلهما. لم يكن قتالي رغبة في الانتصار على شخص، ولا محاولة لإثبات أنني أقوى من أحد، بل كان سعيًا لأن أوفّر لهما حياة أستطيع أن أكون فيها أمًّا حاضرة، وأن أمنحهما ما أقدر عليه من حب ورعاية وأمان.

كنت أواجه مسؤوليات كثيرة، وأحاول أن أعمل، وأن أبني مستقبلي، وأن أتعامل مع ظروف الحياة، لكنني لم أرد أن أنشغل بكل ذلك حتى أنسى أهم استثمار في حياتي: طفليّ.

كنت أستثمر، وما زلت أستثمر، في تربيتهما، وفي وعيهما ونفسيتهما، وفي الطريقة التي ينظران بها إلى نفسيهما وإلى العالم. أردت أن أربّي طفلين

يعرفان قيمة نفسيهما، ويحترمان الآخرين، ويتحملان مسؤولية أفعالهما، ولا يسمحان لظروفهما بأن تسلبهما القدرة على الحلم.

لم أكن أريد أن أقدّم لهما حياة خالية من كل صعوبة، فهذا ليس في مقدوري، ولا أستطيع أن أضمن لهما أن الطريق سيكون سهلًا. كنت أريد أن أقدّم لهما شيئًا أعمق: أن يعرفا أن لهما أمًّا تحبهما، وتسمعهما، وتحاول أن تفهمهما، وتبقى إلى جانبهما في الأوقات التي يحتاجان فيها إليها.

واليوم، حين أتحدث مع ابنتي، أشعر بفرحة لا أستطيع وصفها. تتحدث معي وكأنني صديقتها؛ تخبرني، وتحاورني، وتشاركني أفكارها. وأجد في حديثها مساحة من القرب تجعلني أشعر بأن بيننا علاقة لا تقوم على الأمومة وحدها، بل على الثقة أيضًا.

وابني كذلك، يكلّمني وكأنني صديقه. أحب أن أسمع منه، وأن أقترب من عالمه، وأن أشعر بأنه يستطيع أن يتحدث معي بعفوية، دون أن يضطر إلى إخفاء ما يدور في داخله.

هذه العلاقة التي تجمعني بهما تعني لي الكثير. لا أريد أن أكون أمًّا يخافها أطفالها، ولا أمًّا يشعرون بأن عليهم أن يخفوا عنها حقيقتهم. أريد أن أكون أمًّا يحترمانها، ويثقان بها، ويعرفان أنهما يستطيعان العودة إليها حين يحتاجان إلى الحديث أو الفهم أو الدعم.

وأنا أعلم أن التربية ليست كلمات جميلة نقولها، بل مسؤولية تتجدد كل يوم: أن أسمعهما، وأن أتعلم معهما، وأن أراجع نفسي حين أخطئ، وأن أمنحهما الحب دون أن أنسى أهمية الحدود

والمسؤولية. فلا يوجد أب أو أم يعرفان كل شيء، لكن هناك فرقًا كبيرًا بين من يظن أنه لا يخطئ، ومن يحاول أن يتعلم ليكون أفضل لأبنائه.

أحب طفليّ أكثر مما تستطيع الكلمات أن تصف، ومهما كتبت عنهما فلن أوفيهما حقهما. فهما ليسا مجرد جزء من حكايتي؛ إنهما من أهم الأسباب التي جعلتني أواصل الطريق، وأبحث عن حلول، وأعيد ترتيب حياتي كلما اضطُررت إلى البدء من جديد.

لكنني لا أريد أن يشعر أيّ منهما يومًا بأنه مسؤول عن قوتي، أو أنه مطالب بأن يعوّضني عن شيء فقدته. أنا الأم، وأنا المسؤولة عن دوري تجاههما. أحبهما لأنهما طفلاي، لا لأنهما يمنحان حياتي معنى فحسب، وأريد لهما أن يكبرا وهما يعرفان أن لكل منهما حياته وأحلامه وشخصيته الخاصة.

أريدهما أن يكونا قويين، لكنني أريدهما أيضًا أن يعرفا كيف يطلبان المساعدة حين يحتاجان إليها. أريدهما أن يتحملا المسؤولية، لكن دون أن يحملا أعباء ليست من واجبهما. أريدهما أن يتعلما من الظروف الصعبة، دون أن يعتقدا أن عليهما أن يتألما حتى يصبحا قويين.

فالنضج ليس أن نعيش بلا احتياج إلى أحد، بل أن نعرف كيف نواجه الحياة، وكيف نطلب الدعم، وكيف نحب دون خوف، ونواصل الطريق دون أن نفقد إنسانيتنا.

لقد مررت بتجربة صعبة، لكنني لم أسمح لها بأن تجعلني أتخلى عن دوري كأم. ربما لم أستطع أن أغيّر كل الظروف التي عاشها طفلاي، لكنني

استطعت أن أختار كيف أكون حاضرة في حياتهما، وكيف أحبهما، وكيف أستثمر في وعيهما ومستقبلهما.

وإذا كان هناك شيء أتمنى أن يبقى في قلبيهما إلى الأبد، فهو أن يتذكرا أنه مهما تغيّرت الظروف، ومهما كبرت مسؤوليات الحياة، فإن أمهما لم تتخلّ عنهما، وأنها حاولت بكل ما تملك أن تمنحهما الحب، وأن تعلّمهما كيف يقف الإنسان من جديد.

أحبكما يا طفليّ، حبًا لا تختصره هذه الصفحات، ولا تكفيه الكلمات.

وكل ما أتمناه أن تكبرا وأنتما تعرفان أنكما كنتما دائمًا محبوبين، وأن وجودكما في حياتي نعمة أعتز بها، وأنني سأظل أتعلم كيف أكون أمًا أفضل لكما، ما دمت قادرة على أن أتعلم.

حلم التجارة

قبل أن أنفصل، كنت قد بدأت أولى خطواتي في عالم التجارة، من خلال مشروع للمنتجات التجميلية حمل اسم ابنتي. لم تكن تلك الخطوة مجرد محاولة لكسب المال، بل كانت بداية حلم يكبر في داخلي؛ حلم امرأة تحب العمل، وتعشق التجارة، وتجد في العمل الحر مساحة تعبّر فيها عن نفسها، وتبني مستقبلها بإرادتها.

كنت امرأة طموحة جدًا، واثقة من نفسها، أرى أمامي مستقبلًا أكبر بكثير من المكان الذي أقف فيه. كنت أتحدث عن أحلامي بصوت عالٍ، وأخبر من حولي أنني أرى نفسي في مكانة كبيرة، وأنني سأصل إلى شيء لم أتخيله يومًا. وكان بعض من

يسمعونني يضحكون، وربما لم يفهموا كيف يمكن لامرأة تمرّ بكل تلك الظروف أن تحمل في داخلها كل هذا الطموح.

لكنني كنت أؤمن بنفسي.

لم أكن أملك كل الإمكانات التي يحتاجها الحلم، ولم تكن الظروف دائمًا في صالحي، لكنني كنت أملك رغبة حقيقية في العمل، وإصرارًا على أن أصنع لنفسي حياة مختلفة. كنت أحب أن أبدأ من الصفر، وأحب فكرة أن يكون لي مشروعي الخاص، وأن أرى شيئًا بدأ بفكرة في رأشي يتحول إلى واقع أمام عيني.

وعندما انفصلت، لم تكن أمامي رفاهية الاستسلام. كنت أمًّا لطفلين، مسؤولة عن حياتهما وتفاصيلهما، وكان عليّ أن أواجه متطلبات الحياة، وأن أتكفّل بأوراقهما وسفرهما وكل ما يحتاجان

إليه. لم يكن الأمر سهلًا، لكنني كنت أعرف أن عليّ أن أتحرك، وأن أبني لنفسي ولطفليّ طريقًا نستطيع أن نكمل فيه حياتنا.

ومن هنا، أنشأت شركتي «روح دنيا للمنتجات التجميلية العضوية».

لم يكن «روح دنيا» مجرد مشروع تجاري بالنسبة إليّ، ولم أكن أراه منتجات أبيعها لأحقق ربحًا. كنت أرى فيه شيئًا من روحي، ومن طموحي، ومن المرأة التي أردت أن أكونها. لذلك اخترت له اسمًا يحمل اسمي، وكأنني أضع جزءًا مني في كل تفصيل من تفاصيله؛ اسمًا يحمل الحلم الذي أردت أن أمنحه فرصة حقيقية ليكبر.

كنت أعمل بضمير، وأضع كل طاقتي في المنتجات التي أصنعها. كنت أعمل على مقشّرات الجسم ومنتجات العناية، وأهتم بالتفاصيل التي تجعل

المنتج تجربة جميلة تعيشها المرأة مع نفسها. لم أكن أريد أن أقدّم منتجات عادية؛ كنت أتخيل امرأة تستخدم منتجاتي، فتمنح نفسها لحظة من العناية والدلال، وتحتفي بجمالها، وتمنح جسدها العناية التي يستحقها، وتشعر بأنها جديرة بأن تهتم بنفسها، وأن تخرج بأبهى حُلّة. ولم يكن اهتمامي بالمرأة وحدها؛ كنت أريد أيضًا أن أقدّم منتجات للرجال، لأن العناية بالنفس ليست حكرًا على جنس دون آخر، ولكل إنسان الحق في أن يهتم بجسده، ويشعر بالرضا عن نفسه.

أردت أن يكون «روح دنيا» أكثر من اسم تجاري: تجربة تحمل بصمتي، وتعكس ذوقي، وتترجم شغفي بعالم الجمال والعناية. وضعت فيه وقتي وجهدي وطاقتي، ووضعت فيه طموحي وإيماني بقدرتي على بناء شيء خاص بي. كنت أتعامل

معه كأنه امتداد لي؛ فما أقدّمه للناس يحمل توقيعي، وما أطمح إليه يرتبط بالصورة التي أحملها عن نفسي ومستقبلي.

وكانت الشركة بالنسبة إليّ خطوة نحو الاستقلال، ومحاولة لترجمة طموحي إلى عمل ملموس. كنت أريد أن أثبت لنفسي، قبل أي شخص آخر، أنني أستطيع أن أبدأ، وأن أعمل، وأن أتحمل المسؤولية، وأن أصنع شيئًا خاصًا بي مهما كانت الظروف. لم أكن أريد أن أكون شخصًا ينتظر الفرص، بل أن أصنع فرصتي بنفسي.

وكان «روح دنيا» بداية حلم أكبر: مشروعًا ينمو معي، أطوّر منتجاته، وأوسّع عمله، وأصل به إلى مكانة لم أكن أستطيع حينها أن أحدد حدودها. لم أكن أعرف إلى أين سيأخذني الطريق، لكنني

كنت أعرف أنني أريد أن أمضي فيه بكل ما أملك من شغف وإصرار، حتى إن لم يكن الآخرون يرون ما أراه.

كنت أدافع عن نفسي بطريقتي؛ لم أكن أبحث عن معركة مع أحد، بل كنت أحاول أن أجد مكاني في الحياة. أردت أن أقول من خلال عملي إن المرأة التي مرّت بتجارب صعبة لا تفقد قدرتها على الحلم، وإن الانفصال لا يعني نهاية الطموح، وإن المسؤولية لا ينبغي أن تتحول إلى جدار يمنع الإنسان من التقدم.

كنت أعمل، وأحاول، وأتعلم، وأبحث عن الفرص. أتكفّل بمسؤولياتي، وأحمل همّ أطفالي، وفي الوقت نفسه أتمسك بالصورة التي أراها لمستقبلي.

لم أرد أن تكون ظروفي هي التي تحدد سقف أحلامي، ولا أن أعيش بقية حياتي مقتنعة بأن ما وصلت إليه هو أقصى ما يمكنني الوصول إليه.

كنت أرى نفسي في مكان كبير، حتى عندما كان الواقع من حولي يبدو أصغر من أحلامي بكثير.

لكن الحياة لا تسير دائمًا بالطريقة التي نخطط لها.

في مرحلة من المراحل، أُغلق المحل الذي كنت أعمل فيه. فجأة، وجدت نفسي أمام نهاية لم أكن أريدها، واضطررت إلى أن أبدأ من جديد، وكأنني أعود إلى نقطة الصفر مرة أخرى.

كان الأمر محبطًا بالنسبة إليّ. عندما تبذل جهدك في شيء، وتضع فيه وقتك وأملك، ثم تجد أن الظروف أوقفتك قبل أن تصل إلى ما تريد، فمن الطبيعي أن تشعر بخيبة الأمل. لم يكن سهلًا أن

أرى مشروعًا سعيت من أجله يتعثر، خصوصًا أنني كنت أحاول في الوقت نفسه أن أوفّر لأطفالي حياة مستقرة، وأن أواجه مسؤولياتي دون أن أتخلى عن أحلامي.

لكنني تعلّمت أن تعثّر المشروع لا يعني تعثّر الإنسان كله.

كان إغلاق المكان درسًا قاسيًا، لكنه علّمني أن الطريق إلى النجاح لا يعتمد على باب واحد، ولا على مكان واحد، ولا على فرصة واحدة. أحيانًا نخسر الشكل الذي بدأنا به، فنضطر إلى البحث عن طريقة أخرى نواصل بها الطريق.

ومع ذلك، لم أندم على أنني حاولت، ولا على شيء مما بذلته. فالتجربة التي تعطيها من قلبك لا تصبح بلا قيمة لمجرد أن الطريق الذي سلكته انتهى أو تغيّر. المشروع قد يتوقف، والمكان قد يُغلق، والخطط قد تتبدل، لكن الشغف الذي دفعك إلى البداية يمكن أن يرافقك إلى بداية أخرى.

ولهذا لم أتوقف.

واصلت العمل في التجارة الإلكترونية، وبدأت أبيع المنتجات عبر الإنترنت. تغيّرت الوسيلة، لكن حبي للتجارة لم يتغير، وبقيت الرغبة في الاستمرار. لم أعد أحتاج إلى المكان نفسه كي أعمل؛ كنت أحتاج إلى فكرة، وإرادة، واستعداد لأن أتعلم من جديد.

ومع مرور الوقت، أصبحت أرى أن ما حدث لم يكن مجرد تجربة تجارية انتهت، بل جزءًا من رحلتي في معرفة نفسي. تعلّمت أن أكون مرنة أمام التغيير، وأن أبحث عن البدائل عندما يُغلق باب، وأن أفرّق بين خسارة فرصة، وخسارة الإيمان بقدرتي على المحاولة.

كان «روح دنيا» جزءًا من رحلتي في إثبات نفسي، وفي اكتشاف قدرتي على العمل والاستقلال وتحمّل المسؤولية. كنت امرأة تحمل الكثير على كتفيها، لكنها لم تكن تريد أن تختصر هويتها في الصعوبات التي واجهتها؛ كنت أمًّا مسؤولة عن طفليها، وامرأة لها أحلامها، وصاحبة مشروع أرادت أن تمنحه كل ما تستطيع.

واليوم، حين أتذكر تلك المرحلة، لا أتذكر مشروعًا بدأت به فقط، بل أتذكر دنيا التي كانت تعمل بكل طاقتها، وتؤمن بفكرتها، وتضع قلبها في التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة.

أتذكر المرأة التي لم تكن تنتظر أن يصدّق الآخرون حلمها حتى تبدأ بتحقيقه.

«روح دنيا» لم يكن مجرد مشروع حمل اسمي؛ كان شاهدًا على مرحلة وضعت فيها روحي وطاقتي وطموحي في شيء آمنت به. وحتى عندما اضطررت إلى البدء من جديد، بقيت المرأة التي بنت ذلك المشروع في داخلي، تحمل الشغف نفسه، وتبحث عن طريق آخر لتكمل رحلتها.

أنا لا أروي هذه التجربة لأقول إن كل مشروع سأبدؤه سينجح بالضرورة، أو إن الطريق سيكون سهلًا لكل من يملك حلمًا. أرويها لأنني أعرف كيف يكون الشعور عندما تعمل بكل ما لديك، ثم ترى ما بنيته يتوقف أمام عينيك. أعرف معنى أن تحمل مسؤوليات كبيرة، وأن تشعر بالإحباط، ثم تحاول أن تجمع نفسك وتبحث عن طريق آخر.

وأعرف أيضًا أن الطموح ليس مجرد كلمات نقولها عن المستقبل؛ الطموح أن تعمل من أجله، وأن تتحمل مسؤولية اختياراتك، وأن تتعلم من أخطائك، وأن تمنح نفسك فرصة جديدة عندما لا تسير الأمور كما أردت.

إلى كل امرأة تقرأ كلماتي: لا تجعلي تعثّر تجربة واحدة يقنعكِ بأنكِ غير قادرة.

لا تسمحي لضحكات الآخرين بأن تصبح صوتكِ الداخلي، ولا تجعلي الظروف الصعبة الحكم النهائي على مستقبلكِ. قد تتعثرين، وقد تخسرين مشروعًا، وقد تضطرين إلى تغيير خطتكِ بالكامل، لكن ذلك لا يعني أن حلمكِ انتهى. تعلّمي، وراجعي خطواتكِ، وابحثي عن طريق آخر، وامنحي نفسكِ فرصة للنهوض.

وإلى كل رجل يحمل حلمًا ويسعى إلى تحقيقه: لا تستسلم عند أول عقبة. قاتل من أجل حلمك بالعمل والصبر والتعلم، وحارب اليأس لا الناس، ولا تجعل الخوف من الفشل يمنعك من المحاولة. كن شجاعًا بما يكفي لتبدأ، وواعيًا بما يكفي لتتعلم، ومرنًا بما يكفي لتغيّر طريقك عندما تحتاج إلى ذلك.

لا تضعوا العوائق قبل أن تخوضوا التجربة، ولا تحكموا على مستقبلكم من واقعكم الحالي وحده.

وأريد أن أقول شيئًا تعلّمته من رحلتي: ليس معنى الإصرار أن نتمسك بالطريقة نفسها مهما حدث، بل أن نتمسك بالغاية التي نؤمن بها، وأن نكون مستعدين لتغيير الوسيلة حتى نصل إليها.

ربما لم أصل بعد إلى كل ما أطمح إليه، وربما لا أعرف حتى الآن حدود ما يمكنني تحقيقه، لكنني أعرف شيئًا واحدًا: لن أسمح لتعثّر الأمس بأن يقرر لي ما أستطيع فعله غدًا.

أنا دنيا، امرأة حلمت، وعملت، وتعثّرت، ثم واصلت الطريق. وما زلت أؤمن بأن القادم يمكن أن يكون أكبر مما أراه اليوم.

المرأة بعد الطلاق

أريد أن أقول للناس:

المرأة المنفصلة ليست منبوذة، وليست أقل من أحد.

المرأة المنفصلة بدأت هي أيضًا بنية، وأرادت أن تستمر، لكنها لا تستطيع أن تستمر فقط لإرضاء المجتمع. هي تستمر حين تكون سعيدة، ومرتاحة، وفي المكان الصحيح. ويمكن أن تجد الخير في تلك المرأة التي انفصلت ولديها أولاد، وقاتلت، وواجهت القضاء، وسارت عكس التيار.

أنا شجاعة في اختياراتي، وفي كل ما أقوده، وأتحمل مسؤوليتها كلها، كل يوم.

أنا المرأة الحديدية التي لا تعرف الفشل. أينما وضعتني الحياة، تجدني مقاتلة؛ أقاتل بكل ما لديّ من طاقة وقوة وإيمان، ولن أفشل أبدًا.

إذا قلت لكم إنني لم أنكسر، فلن أكون صادقة تمامًا؛ فقد انكسرت، وتألمت، ومررت بلحظات لم يكن الطريق فيها سهلًا. لكن الفرق أنني، كلما سقطت، حاولت أن أقف من جديد. وكلما ظننت أنني فقدت قوتي، اكتشفت في داخلي قدرة أخرى على المواصلة.

فحين أقول إنني لا أنكسر، لا أعني أنني لم أتألم، بل أن الألم لم يكن النهاية التي كتبتها لنفسي.

قد أنكسر، لكنني سأبقى أنا. قد أتعب، وقد أبكي، وقد أحتاج إلى وقت كي أستعيد قوتي، لكنني سأنهض من جديد. فالقوة ليست أن تعيش حياتك

من دون جراح، بل أن تتعلم كيف تواصل الطريق من دون أن تسمح لجراحك بأن تسلبك مستقبلك.

ولكل من يريد أن يراني في الأسفل، أو راهن على سقوطي: أنا لن أسقط. لم تكن إرادتكم هي التي تحدد مصيري؛ إرادة الله أكبر من كل ما خططتم له. سأواصل السعي والعمل، وسأترك أفعالي تتحدث عني. لم أعد أحتاج إلى أن أقنع أحدًا بقدرتي؛ يكفيني أن أواصل بناء الحياة التي أؤمن بها.

لا أقول هذا الكلام لأنتقم من أحد، ولا لأثبت أنني أفضل من أحد. أقوله لأنني أعرف معنى أن تكون في مكان لا يرى فيه الآخرون إمكاناتك، وأن تحمل حلمًا يراه بعض الناس أكبر منك، وأن تضطر إلى النهوض بينما ينتظر منك البعض أن تستسلم.

أنا دنيا؛ بيدي أكتب بدايتي، وبإيماني أصنع نهايتي.

لا يمكنني اليوم، أنا دنيا التي تربي طفلين، ابنتي في الثامنة وابني في السادسة، أن أتحمل كل المسؤولية على كاهلي، وأنا امرأة في العشرينات.

وما آلمني كإنسانة أنني وجدت الطريق إلى حق أولادي طويلًا ومرهقًا. إذا أردتِ أن تحصلي على حق أولادك، فعليكِ أن تتحملي رسوم المحامي، وأن تتابعي القضية بنفسك، وأنتِ في الوقت نفسه تعملين وتربّين وتنفقين.

أريد أن أتكلم عن المرأة التي لا ينصفها المجتمع في الطلاق، وفي النفقة، وفي الأولاد، وفي كل ما يجب لهم. في هذا الكتاب أنادي بحقوق المرأة، كل امرأة، كل النساء.

المجتمع لا ينصف المرأة، ولن أملّ من قولها: المجتمع لا ينصف المرأة.

وأناشده بكتابي وبكلماتي أن تجد المرأة حقًا ما تستحقه بعد الطلاق، وأن يتحمل الأب مسؤولياته المادية كاملة.

إذا لم تقع المرأة على رجل حقيقي، صادق ومسؤول، فالأمر صعب جدًا، ولن ينصفها المجتمع بسهولة. كم سيعطيها من نفقة؟ وإن أخذت النفقة، فعليها أن تدفع رسوم المحامي، ورسوم التنفيذ، وأشياء كثيرة غيرها.

هذه هي الحقيقة: المرأة لا تُنصَف حين تنفصل. وتبقى في كثير من الأحيان ضحية مجتمع ينسى إنسانيته.

ومن خلال تجربتي الحية التي عشتها، أنادي بهذا:

هناك خلل كبير في المنظومة الاجتماعية ومنظومة الأسرة.

من يحمي الأطفال بعد الطلاق؟

في أي دولة في العالم، حين يقع الطلاق بين طرفين، يجب أن يكون هناك قانون يحمي الأطفال حماية كبيرة جدًا.

أنا مثلًا، كان عليّ أن أدفع للمحامي كي آتي بحق أولادي. نعم، أدفع للمحامي لا من أجل حقي أنا، فأنا أم حاضنة وليس لي حق آخذه، بل أوكّل محاميًا لأولادي، كي يطالب بحقهم من أبيهم.

لذلك أقول: حين يقع الطلاق بين شخصين، وفي الملف أولاد، أتمنى أن يُعيِّن مباشرة محامٍ، أو أي شخص مخوّل، ليطالب بحقوق الأطفال. أمٌّ حاضنة تحمل أولادها ماديًا ومعنويًا وحدها، هل هذا منطقي؟ هل هذا عدل؟ بالتأكيد لا. وأنت أيها الأب، ما دامت الأم ستحضن الأولاد وتربيهم، فعليك أن توفر المسكن، والأكل، والصحة، وكل ما هو مادي.

فالأم، إن لم يكن عندها مال، فكيف ستتابع الأب؟ عليها أن توكّل محاميًا، وتنتظر القضية والجلسات. وإن لم يكن لديها أي مال، فبماذا ستقاوم وتقاتل في الحياة؟

حين يعرف كل أب أن التزامه تجاه أولاده سيُتابَع بحزم، يحسب لذلك حسابه. وأتمنى أن يُقال له: إن لم تكن لديك وظيفة تنفق منها على أولادك،

فستُلزَم بالعمل كي توفر لهم لقمة العيش. لأنك يوم قررت أن تنجبهم، لم يكن لأحد الحق أن يقول لك لا. صحيح؟ فتحمّل مسؤوليتهم بعد الطلاق، كما اخترت أن تتحملها يوم أنجبتهم.

كيف لأم حاضنة أن تعمل في الخارج، وتبني مستقبلها، وتربي الأولاد، وكل شيء يقع عليها؟ كل أمور الحياة اليومية على هذه السيدة. فمن أين لها كل هذا؟ وكيف ستعيش؟

وهذا الضغط قد يدفع الإنسان مضطرًا إلى طرق لا تشبهه، وخارج ما تربى عليه، بسبب أب غير مسؤول. ولهذا أرفع صوتي.

وأتمنى أن تكون هناك خطوة إضافية لحماية الأطفال: بعد الطلاق مباشرة، إن كان هناك أولاد، يجب أن يتابع قاضٍ الأب والأم، وأن تكون لهما

جلسة فورية: لقد انفصلتما وانتهى الأمر، تعاليا الآن، لديكما أولاد قاصرون. من المسؤول عنهم؟ من سينفق عليهم؟ من سيوفر لهم؟

صُدمت من صعوبة الطريق أمام المرأة المنفصلة. فمتابعة الحقوق تحتاج إلى مال: إن استطعتِ أن تدفعي، مضت القضية، وإن لم تستطيعي، تعثّرت. والأب، في تجربتي، لا يحاسب نفسه ولا يراقبها، إلا إذا كان صاحب ضمير، ومسؤولًا، ورجلًا بحق؛ رجلًا حقيقيًا وصحيحًا.

أي أنكِ، إن لم يكن لديكِ مال تدفعينه للمحامي، قد تتعثر قضيتكِ، وقد تمر سنوات طويلة والأب بعيد عن مسؤوليته. هل هذا ما تستحقه المرأة؟

ومن خلال كتابي، أناشد كل الجمعيات، وكل منظمات حقوق الطفل، وكل منظمات حقوق الإنسان، أن تتبنى قضية المرأة المنفصلة، وأن تنظر

في المنظومة الأسرية بشكل صريح، وواضح، وصارم. لأن خراب المجتمع يبدأ من أسرته، ومن عدم تحمل كل شخص مسؤوليته.

لأن خراب المجتمع يبدأ من أسرته

وأنا ضد أي أب يظهر بعد سنوات ليسأل عن أولاده، كأنه يهتم بهم. أين كنت كل سنوات طفولتهم وشبابهم، حين كانت الأم تنفق، وتقاتل، وتُقهر من أجلهم؟

لا يحق لأب أن يطالب بأولاده وهو لا ينفق عليهم، ثم يقول: أولادي. أين كنت؟ بماذا ساهمت فيهم؟ ماذا غيّرت في وضعهم؟ ماذا أعطيتهم؟

إن كانت الأم قد أعطتهم الاهتمام، والتربية، والأمان، فأنت ماذا أعطيتهم؟

أين الأمان المادي، وهو دورك الأساشي؟

لذلك أقولها بوضوح: أي أب يحرم أولاده من حقهم المادي، لا يستحقهم، ولا يحق له أن يطالب بهم وهو غائب عن مسؤوليته.

لا يُعقل أن تكون أنت المسؤول، ثم ترمي المسؤولية فجأة. على من ترميها؟ على الأم؟ لا يمكن.

الأب دوره مادي، والأم دورها التربية.

رسائلي للمرأة والرجل

هنا أقف وأخاطب كل امرأة: إذا كنتِ في المكان غير الصحيح، فاهربي، تحركي، افعلي شيئًا، غيّري وضعك. لن تجدي الحل وأنتِ في وسط ما تعيشينه. لا تبقَيْ في زواج يؤذيكِ باسم المجتمع، ولا باسم العيب؛ فالدين نفسه لم يأمركِ بالبقاء حيث تُظلَمين.

وأخاطب كل رجل: ليس المهم أن يستمر الزواج، بل أن تستمر المشاركة في تربية الأولاد. حين يقوم كل واحد بدوره تنجح الحياة، وحين تُقسِّم الأدوار بطريقة صحيحة يصبح كل شيء واضحًا.

والدور يبدأ من النفس. أيتها المرأة، لا تبقَيْ في دوامة: كيف أتعامل مع الزوج؟ يكفي أن تعملي على نفسك، وعلى جروح الطفولة التي حملتِها كل

تلك السنين، وأن تعرفي دورك.

يكفي أن تكوني إنسانة مضيئة في حياتك، لا تكرّسين كل وقتك لأولادك وتنسين نفسك.

وأيها الرجل، دورك أن تكون إنسانًا مسؤولًا، يجد الحلول في حياته، لا يتكئ على أمه أو أبيه أو أخته، ويطوّر نفسه.

ليس هناك أم سيئة وأم جيدة، ولا أب سيئ وأب جيد. هناك من يقوم بدوره، ومن يتخلى عنه. لا يمكن للأب أن يوفر لقمة العيش ويربي الأولاد طوال اليوم في الوقت نفسه، ولا يمكن للأم أن تربي وهي تفكر في الإيجار والفواتير والأكل والشرب. كل واحد يحمل جزءه، وهذا ما أعنيه.

وأنا، من تجربتي، حملت الجزأين معًا: المأكل والمشرب، والفواتير والإيجار، والمدرسة والمرض والتوصيل. كنت أفكر في الخارج ماذا أفعل، وفي الداخل كيف أربي. ولولا عون أمي، الله يحفظها، هدية الله لي، لما وقفت. كانت سندي بعد الله عز وجل، وفي وسط تلك العواصف كانت هي النور في حياتي.

وإذا بحثنا عن أصل المشاكل في الزواج وبعد الطلاق، وجدناه في شيء واحد: عدم وعي الإنسان بالمسؤولية. ينجب وهو غير قادر على أن يوفر لهذا المخلوق ما يلزمه. وهذا أقوله للجميع، حتى للطفل والمراهق: اكبر بعقلية الإنسان الذي يتحمل المسؤولية، فأنت مسؤول عمّن أنجبته منذ جاء إلى هذه الدنيا.

وأنا لا أعمّم. هناك رجال طيبون جدًا، يعرفون حق المسؤولية. لا أريد للمرأة ولا للرجل أن يبقيا في مكان غير صحيح.

حين تشعر بعدم الارتياح في شيء، ويؤثر سلبًا في مبادئك وحياتك، اذهب، وابتعد، وابدأ حياة جديدة.

جمال الروح والشكل

هناك شيء مهم أريد أن أقوله لكل امرأة ولكل رجل يقرأ هذا الكتاب: اهتموا بأنفسكم، وبمظهركم، وبنظافتكم، وبأناقتكم، وبكل تفصيل يجعلكم تشعرون بالرضا عن أنفسكم.

كونوا جميلين، جمالًا لا يتوقف عند الملامح، بل يبدأ من الروح، ويمتد إلى الشكل والتصرفات والحضور. كونوا طيّبي الرائحة، نظيفين، أنيقين،

جذّابين، واعتنوا بأجسادكم كما تعتنون بأرواحكم. اجعلوا لأنفسكم حضورًا جميلًا، وامنحوها حق الشعور بالجاذبية والثقة والرضا.

ولا أريد أن يُفهم كلامي على أنه دعوة لإرضاء الرجل أو المرأة، أو أن قيمة الإنسان تُقاس بجماله الخارجي. أبدًا. أنا أتحدث عن العناية بالنفس باعتبارها شكلًا من أشكال احترام الذات، وعن الجمال باعتباره متعة شخصية، وطاقة نعيشها، وطريقة نعبّر بها عن حبنا لأنفسنا.

اعتني بنفسكِ لأنكِ تستحقين ذلك، واعتنِ بنفسك لأنك تستحق ذلك. لا تنتظروا أن يأتي شخص ليمنحكم سببًا للاهتمام بأنفسكم، ولا تجعلوا وجود شريك في حياتكم الدافع الوحيد لتكونوا في أجمل

صورة. افعلوا ذلك من أجلكم أولًا، لأن علاقتكم بأنفسكم هي العلاقة التي ترافقكم في كل مراحل الحياة.

وهناك فكرة أخرى أراها مهمة جدًا، وأريدكم أن تتوقفوا عندها قليلًا:

الإنسان لا يجذب إلى حياته كل ما يريده بالضرورة، بل كثيرًا ما يختار ويتفاعل وينجذب إلى ما ينسجم مع ما يحمله في داخله، ومع وعيه وقناعاته، وطريقة تعامله مع نفسه والآخرين.

نحن لا نعيش رغباتنا وحدها؛ نحن نعيش أيضًا آثار اختياراتنا، وحدودنا، ومخاوفنا، وطريقة فهمنا للحب والاحترام والاستحقاق. قد نرغب في علاقة صحية، لكننا إن لم نتعلم احترام أنفسنا ووضع

حدود واضحة، فقد نقبل بما يؤذينا. وقد نحلم بحياة مختلفة، لكننا إن ظللنا نكرر الأفكار والسلوكيات نفسها، فقد نجد أنفسنا نعود إلى الدائرة ذاتها.

لهذا أقول لكم: لا تكتفوا بالسؤال عمّا تريدون جذبه إلى حياتكم، بل اسألوا أنفسكم أيضًا: من أنا اليوم؟ ماذا أحمل في داخلي؟ ما الذي أسمح به؟ وما الذي أحتاج إلى تغييره في نفسي حتى أكون مستعدًا للحياة التي أتمنى أن أعيشها؟

لا يعني هذا أن كل ما يحدث لنا نتيجة لما نحن عليه، أو أننا مسؤولون عن كل أذى نتعرض له؛ فالحياة تحمل ظروفًا واختيارات للآخرين لا نملك السيطرة عليها. لكننا نستطيع أن نعمل على أنفسنا، وأن نراجع أنماطنا، وأن نتعلم كيف نختار بصورة أكثر وعيًا.

لا تنتظر أن تتغير حياتك بينما تظل أسير النسخة نفسها من نفسك. ابدأ من داخلك، واعتنِ بخارجك، وراقب اختياراتك؛ فالتغيير الحقيقي لا يقتصر على ما تتمناه، بل يشمل أيضًا ما تتعلم أن تكونه، وما تقرر أن تقبله في حياتك.

هذه نصيحتي لكم، من تجربتي ومن فهمي للحياة: أحبوا أنفسكم، واهتموا بها، وكونوا جميلين في أرواحكم وأشكالكم وأفعالكم؛ لا من أجل أن يختاركم أحد، بل لأنكم أنتم أيضًا تستحقون أن تختاروا أنفسكم.

لا من أجل أن يختاركم أحد، بل لأنكم أنتم أيضًا تستحقون أن تختاروا أنفسكم.

الجزء الرابع

عالم الروح

القيود · الاختيار · الوحدة · الجنس الروحي · الهالة

فك القيود

نقلتكم من دنيا الطفلة، ودنيا المنفصلة، ودنيا التجربة، إلى دنيا الروح. أنتم الآن داخل العالم الروحاني، وسأفصّله لكم بالطريقة التي أراها صحيحة. ليس كلامًا فقط، بل تأملات أستلهمها، كما أشعر، من قربي من المولى عز وجل. نعم، أعي ذلك تمامًا: أفكاري متمردة بعض الشيء. لكنك إن لم تتمرد على واقعك، فستظل في المكان الخطأ.

كثيرون يقولون عن كل شيء: مكتوب ومقدّر، ويربطون كل تفصيلة في الحياة بالقدر. صحيح أننا نؤمن بالقدر، لكننا نؤمن أيضًا بالاختيار.

أعطاك الله أقدارًا مكتوبة، لكنه أعطاك عقلًا لتختار.

اهتم بصحتك، وبأكلك، وبنظافتك، واهتم بالغسل الروحي. لا تبقَ مبرمجًا داخل الصندوق الأسود. كثير مما نؤمن به برمجة؛ منذ وُلدنا تبرمجنا على الجنس، وعلى المجتمع، وعلى كل مفهوم أعطونا عنه خلفية، وكثير من تلك الخلفيات لم يكن صحيحًا.

القيود الفكرية هي ما يجعل الإنسان يعيش حياة مزيفة. هل سألت نفسك يومًا: هذه الحياة حياتي، وأريد أن أعيشها بطريقتي لا بطريقة الناس؟ أم ما زلت أسير القيود الفكرية؟

ما زالت المرأة تُرى كجسد، وما زال الرجل في قيد السلطة الذكورية. وحين أرادوا أن يغيروا مفهوم المرأة ويساووها بالرجل، وضعوها في المكان الخطأ. المرأة ليست نسخة من الرجل، والرجل ليس أحسن من المرأة، والمرأة ليست أحسن من الرجل. فنشأت المشادات، وقامت الحروب بين المرأة والرجل.

إذا سألتني اليوم: ما هو الرجل بالنسبة إليك؟ سأقول: الرجل قوة، وله في قلبي تقدير كبير. والذي ينقص المرأة الحقيقية هو تقدير الرجل. لكن تقدير الرجل ليس بغفران أخطائه، بل

باحترامه، وبأن تكوني امرأة معه. ترتفع طاقة الأنوثة عندك، وترتفع طاقة الرجولة عنده، حين يكون مع الأنثى الصحيحة.

الذي ينقص المرأة الحقيقية هو تقدير الرجل.

أنا متصالحة مع ذاتي. أخطأت كثيرًا في حياتي، وكان وعيي منخفضًا، لكنني ممتنة لله لأنه أنقذني في الوقت المناسب، وأنني رأيت هذا الإنقاذ بوضوح، وقبلته.

مخيّر أم مجبر؟

هل زارتك الصحوة الروحية يومًا؟ هل طرحت على نفسك الأسئلة التي طرحتها في الصفحات السابقة؟ هل وجدت الأجوبة وواجهتها، أم هربت منها،

ومنعتك برمجتك وخلفياتك من الوصول إليها؟

> وقفة للقارئ
>
> سأسألك، وأريدك أن تقول الجواب لنفسك لا لي: هل تظن أنك مخيّر في حياتك، أم مجبر على الأحداث التي تعيشها؟

هنا ستكتشف نفسك: هل تعيش في دور الضحية، أم تحمل مسؤولية أفكارك؟

ولا أقصد أن كل ما حدث لك كان باختيارك. أنا نفسي لم أكن أملك السيطرة على كل ما حدث في حياتي؛ لم أختر طفولتي، ولم أختر أن يتخلى أحد عن مسؤوليته، ولم أختر كل الظروف التي وجدت

نفسي فيها. لكنني بدأت أفهم، مع الوقت، أن هناك فرقًا بين ما يحدث لنا دون إرادتنا، والقرارات التي نستطيع اتخاذها بعد ذلك.

لم يكن بوسعي أن أعود إلى طفولتي لأمنح تلك الطفلة الأمان الذي افتقدته، لكن كان بوسعي أن أتعلم كيف أبني الأمان في حياتي. ولم يكن بوسعي أن أغيّر الماضي، لكن كان بوسعي أن أعيد النظر في اختياراتي، وأن أبحث عن طريق يناسبني أكثر.

لم يكن ذلك سهلًا، ولم يحدث دفعة واحدة. لكنه علّمني شيئًا مهمًا:

القوة لا تعني أن نتحكم في كل شيء، بل أن نتعلم كيف نتصرف أمام ما لا نستطيع تغييره، وأن نمنح أنفسنا فرصة لبداية جديدة حين تصبح ممكنة.

دعوني أنتقل بكم إلى أعمق نقطة في الفكر، فهذا السؤال أعمق بكثير مما يبدو. حين أسألك: هل أنت مخيّر؟ وتقول: نعم، أنا مخيّر، فأنت إنسان مسؤول، ووعيك العميق يؤكد لك ذلك، وتعي أن بين يديك اختيارات كثيرة في ما تعيشه. أما إذا قلت: أنا مجبر على هذه الحياة، فربما تكون قد أغلقت على نفسك باب الاختيار. ومهما قلت: سأتغير، سأفعل، فقد تحتاج أولًا إلى أن تراجع بياناتك الداخلية بلطف.

أنت لست مجبرًا على أن تبقى حيث أنت؛ أنت مخيّر في كثير من تفاصيل حياتك

في الزواج، والطلاق، والأولاد، والعمل، والتغيير الجذري، والشجاعة، كثير من الأمور أنت من تختاره وتكتسبه. يجب أن تكون لديك الشجاعة في الاختيار، والشجاعة في مواجهة الحياة. الشجاعة لا تُعطى لكل إنسان، لكنها حين تُعطى لك، فاستفد منها، وواجه بها كل شيء.

بكيت، نعم. من حقي أن أبكي وحدي، لربي، ولنفسي، وأن أتألم وأحاول إيجاد الحلول. لكنني لا أشتكي إلى الناس، ولا ألوم الناس. وطوال حياتي لم أقل إنني سأجلس وأبكي وأقول إن الحياة كلها ظلمتني. في كل عثرة، كان عندي وعي كبير بأنني قادرة على أن أغيّر ما أعيش فيه؛ ليس بالضرورة

بالمال والأشياء، بل بالفكر الذي أعيش به. وأنا متأكدة، بكل وعي، أن هذا الفكر سينقلني إلى مكان أبعد وأقوى مما تخيلت.

هل أنت مستعد؟

نعود إلى الأفكار والقيود التي تبرمجنا عليها. كثير من تلك المفاهيم لم يعد يشبهني بعد صحوتي الروحية. لكنني أسألك سؤالًا وجيهًا: هل أنت مستعد للتغيير؟ هل أنت مستعد لأن تقتل النسخة القديمة منك، وتستقبل النسخة الجديدة؟ هل أنت مستعد حقًا؟

لا تفعلها لأنك شاهدت مقطعًا لشخص ما، فإذا انتهى المقطع انتهى معه كل تفكيرك في التغيير. أنا هنا أخاطبك أنت، أخاطب جوهرك وروحك. لذلك قلت في أول كتابي إن هذا الكتاب سيختارك، ولا داعي لأن تختاره أنت.

وقفة للقارئ

توقف لحظة عن القراءة، واسأل نفسك أولًا: هل أريد التغيير حقًا؟ هل أنا مستعد لنسختي الجديدة؟

لن أعدك بأن الأمر سيكون سهلًا. سيكلفك الكثير أن تتخلص من قاموسك القديم ونسختك القديمة، وتدخل النسخة الجديدة. عليك أن تضحي بما كنت عليه، وأن تقتل كل الفكر والبرمجة التي عشت بها.

أنا دائمًا أقول هذه الجملة:

إذا أردت أن تُدخل أثاثًا جديدًا إلى بيتك، عليك أن تتخلص من القديم.

هذه هي الحقيقة. اليوم تكلمكم دنيا النسخة الجديدة، لا القديمة.

وهذا لا يعني أن تتخلى عن مبادئك، وعن طيبتك، وعن كونك إنسانًا حقيقيًا غير مزيف. حين تتخلص، فأنت تتخلص فقط مما كان يعيقك، لا من كونك إنسانًا ذا بذرة حسنة.

قلت لكم في بداية الكتاب إنني بذرة من بذور النجوم، وخادمة للنور. وطوال سنواتي وخبراتي وتجاربي في الحياة، أيقنت شيئًا واحدًا، وسأقوله بصريح العبارة: لم أتغير إلى ما أرادوني أن أتغير إليه.

تغيرت، تغير الوعي، تغير البعد، لكن لم تتغير دنيا.

وهذا ما أعنيه بأنني خادمة للنور. مهما أوجعتني الحياة، ومهما أوجعتني التجارب، ومهما كانت الحياة صعبة في ظاهرها، فهي في باطنها تخدم مصلحتك، صدقني.

أتعرف ما أسمى مراحل النور والحياة الصحيحة؟ أن تكون في قمة قوتك وقمة مجدك، وتحافظ على قيمة قلبك، ولا تتغير.

الشر لم يختر الرجال دون النساء، ولا النساء دون الرجال. لذلك نحن هنا لا نعاتب؛ ابتعد عن اللوم والانتقاد والعتاب.

صحيح أنني أتألم، لأنني إنسانة، وسط ضغط قوي ومسؤولية أكبر. لكن هذا لا يعطيني الحق في أن ألوم كل شخص، وأبقى أركز على الناس، وأنسى الدرس الذي يجب أن أتعلمه من القصة نفسها.

هل فهمت؟ الناس الذين يؤلمونك مثل ساعي البريد، جاء ليعطيك رسالة.

هل تركز مع الرسالة، أم مع ساعي البريد؟

هذه رؤيتي للحياة.

ومن هنا أطلقت على نفسي اسم الذئبة المنفردة، وآمنت بهذا الاسم طوال الوقت. كنت أريد أن أبقى وحدي، وكانت راحتي في قلة الناس. وهذا ما أيقنته حين كبرت: أن هذا هو الصحيح. ليس كل من تراهم حولك حقيقيين؛ القلة من الناس هي الحقيقة.

الوحدة

هل تعرف لماذا أحب الوحدة؟ لأن الوحدة في رحلة التحول الروحي ليست عقابًا، بل خطوة. أن تكون وحيدًا لا يعني أنك انفصلت عن الناس، بل أنك رجعت إلى نفسك. في هذه اللحظات تتعرف على نفسك من جديد، بعمق.

في الوحدة تتعرف على طاقتك، وتعيشها كاملة، دون أن تتأثر كل لحظة بطاقات الناس وتوقعاتهم ومشاعرهم من حولك.

في الوحدة تتعلم أن تضع حدودك، وأن تحمي طاقتك. تتعلم أن تقف على رجليك وحدك، وتعرف أين كنت تُفرغ نفسك وقوتك بلا سبب، وتتوقف عن حمل أشياء ليست لك أصلًا.

وفي الوحدة تبدأ بالسؤال عن كل ما ورثته: من العائلة، ومن المجتمع، ومن العلاقات، ومن الماضي. وشيئًا فشيئًا يظهر السؤال الحقيقي: ما

الذي أؤمن به أنا؟ ما الذي تقول له روحي نعم؟

وحين تتوقف عن انتظار أن يقول لك الناس إنك على صواب، تولد فيك ثقة جديدة. تعرف كيف تختار، وتختار حسب الإنسان الذي أصبحت عليه، لا الإنسان الذي برمجوك لتكونه.

الوحدة تعلّمك أن تنظر إلى الداخل. بدل أن تبحث عن الأجوبة عند الناس، تسمع لحدسك، ولحكمتك الداخلية، ولعلاقتك برب العباد.

لماذا الوحدة إذن؟ صحيح أنه ليس لي أصدقاء، وأنني أعيش منفردة.

لكن الذئبة تريد توأم الروح، ورفيقًا، وونيس الدرب.

أنا أصلًا إنسانة وحيدة، أحب الوحدة، بل أعشقها. عالمي الذي بنيته لنفسي، ومساحتي التي أجد فيها راحتي، هما جزء مني. لا أشعر أنني مضطرة إلى ملء هذا العالم بالناس، ولا أبحث عمّن يبدّد وحدتي؛ فأنا لا أهرب منها، بل أحبها وأختارها.

لكن أن يدخل شخص إلى عالمي، فذلك أمر مختلف تمامًا.

أنا لا أفتح أبوابي لمجرد أن أحدهم طرقها، ولا أغيّر طبيعتي كي أفسح مكانًا لشخص في حياتي. من يريد أن يدخل عالمي ويبقى فيه، يجب أن يكون الونيس.

والونيس، بالنسبة إليّ، ليس شخصًا يملأ وقتي، ولا حضورًا عابرًا يكسر هدوئي ثم يرحل. إنه الشخص الذي يستطيع أن يكون قريبًا مني، من دون أن ينتزع مني حبي لوحدتي؛ الذي يفهم أن عالمي

كان مكتملًا بطريقتي، وأن وجوده ليس مطلوبًا ليُنقذني، بل ليشاركني هذا العالم الذي اخترته لنفسي.

لا أريد شخصًا يجعلني أندم على فتح بابي، بل شخصًا يجعلني أشعر أنني، رغم عشقي للوحدة، لم أخطئ حين سمحت له بالدخول.

أنا لا أبحث عمّن يخرجني من عالمي؛
أبحث عن الونيس الذي يعرف كيف يكون جزءًا منه.

الجنس الروحي

ننتقل الآن إلى الجنس الروحي. تعال معي، سآخذك في جولة حول هذا المفهوم كما أراه، وأنا أتحدث هنا عن العلاقة بين الزوجين كما أحلّها

الله.

أنا متأكدة أنك سمعت ما سأقوله من قبل. لكنني اليوم لا أقوله بدافع الكتابة أو الكلام، بل لألمس وعيك، وأوقظه معي.

هل تعرف ما هو الجنس الروحي؟ هو ما خُلقنا عليه في الأصل:

عندما تلتقي الروح بالروح، ويختفي معنى وجود الجسد.

الجنس الروحي هو تلاحم زوجين، جسدًا وروحًا، في رحلة تبحر بهما إلى عالم بعيد كل البعد عن الواقع المادي؛ عالم يعيشان فيه التجربة معًا، وكأنهما يتجاوزان حدود الجسد إلى مساحة أخرى لا تُقاس بالمألوف.

وحين تنتهي التجربة، يبدو الأمر كأنه لم يحدث؛ كأن الرحلة انطوت، وعادت الحياة إلى ظاهرها المعتاد. لكن شيئًا في الداخل يبقى حيًّا: يبقى التناغم، ويبقى الاشتياق، ويبقى ذلك الاتصال الذي لا ينتهي بانتهاء اللحظة.

وليس الاشتياق هنا أن أقول: «اشتقت إليك، أريدك». لا، فالمعنى الذي أقصده أعمق من الرغبة في لقاء جسدٍ بجسد. في هذه التجربة لا يكون الجسد هو الغاية، بل تصبح الروح هي التي تنادي الروح، وتشتاق إليها، وتبحث عن ذلك التناغم الذي عاشته معها.

هذا، بالنسبة إليّ، هو الجنس الروحي: رحلة ممتعة تعيشها بروحك، ويشاركك فيها جسدك، لكن معناها يتجاوز حدود الاتصال الجسدي وحده.

إنه ليس نمطًا اعتدناه في العلاقة بين الزوج والزوجة، ولا لقاءً يتكرر لأننا ألفنا صورته، بل تجربة مختلفة في معناها وإحساسها؛ تجربة يكون فيها الجسد حاضرًا، لكن الروح هي التي تمنح اللقاء عمقه، وتترك فيه أثرًا يبقى حتى بعد انتهائه.

ليست كل علاقة زوجية قائمة على الروح. أحيانًا تقوم العلاقة على الشهوة وحدها، على «هذا ما أردت». لكن الحقيقة أنك حين تكتشف جسدك وذاتك، وتعطي روحك مساحة وقرارًا لتختار، فإنها تختار الروح، ولا تختار الجسد.

صدقني، قد يبدو كلامي غريبًا بعض الشيء، لكن فكّر معي قليلًا: أنت جسد وروح وعقل. اسمح لروحك أن تحلّق في السماء، اسمح لها أن تأخذ القرار، وثق بها، بصدق لا بتزييف.

ما أقوله لكم نابع من استلهاماتي، ومما أكتشفه أنا عن الحياة، ولكل إنسان وجهة نظره.

جعل بعضهم من العلاقة بين الزوجين شيئًا نخجل منه ونخاف، حتى فيما أحلّه الله. هل تظن حقًا أن الله الذي خلقك ونفخ فيك من روحه، خلقك فقط ليعذبك، وينتظر زلّتك وخطأك؟ هل هذا ظنك بالله الرحمن الرحيم؟

أنا اليوم أدعوك إلى ألّا تبقى العبادة عندك عادة تؤديها، بل أن تصبح طريقًا إلى حقيقة حب الله. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والعبادة التي لا تغيّر أخلاقنا لم نعشها بعد كما ينبغي؛ فكيف

يصلي الإنسان ويصوم وهو يخوض في أعراض الناس، ويكذب، ويتكلم بطريقة لا تليق بعاشق للمولى عز وجل؟ وليس حب الله أن أستغفر ألف مرة وأعدّ بلساني وقلبي غائب، ولا أن أنتظر المواسم وحدها لأتذكّره.

الحب الإلهي أسمى مراحل العشق.

ونعود إلى الجنس الروحي. لا يمكنك أن تخرج من البرمجة وأنت ما زلت تؤمن أن الله أعطاك شهوة ليعذبك بها. إذا نظرت إلى رحمة الخالق، ستجد أنه أعطاك الشهوة، وجعل لها طريقًا حلالًا، وأعطاك معها الروح والعقل. الجسد شهوة، لكن العقل يجعلك تختار، والروح روحانية، تختار ما تريده.

ولتصل إلى مرحلة الروح، يجب أن تمر بمراحل كثيرة، منها الظلمات، وإفلات الخيط. هل تعلم ما هو الخيط الذي ستُفلته؟ هو الذي سيوصلك بالحقائق، وسيوصلك بالخالق الحقيقي.

الخوف، والقناعات الموروثة، والتعلّق بالصور القديمة، والبرمجة التي تشكّلت في داخلنا عبر السنين، كلها تؤثر فينا تأثيرًا كبيرًا. قد تجعلنا نتمسّك بما اعتدنا عليه، حتى حين نشعر في أعماقنا أن شيئًا آخر ينتظرنا خارج حدود ما نعرفه.

نحن لا نرث الأفكار وحدها، بل نرث معها مخاوفنا، وطريقتنا في تفسير الحياة، وصورتنا عن أنفسنا، وحتى الحدود التي نظنّ أننا لا نستطيع تجاوزها. ثم

نكبر ونحن نرى العالم من خلال تلك الصورة، ونعود إلى الماضي في ذاكرتنا من داخل الصندوق نفسه الذي تشكّلت فيه قناعاتنا.

وهنا يأتي السؤال:

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى الحقيقة وهو متمسّك بكل ما اعتاد أن يراه حقيقة؟

ربما يكون الخيط الذي يحتاج إلى إفلاته هو كل ما يمنعه من النظر بوعي وحرية. ليس بالضرورة أن يتخلّى عن كل ما تعلّمه، بل أن يملك الشجاعة لمراجعته، وألّا يجعل الموروث أو الخوف أو الصورة القديمة سجنًا يمنعه من اكتشاف ما لم يعرفه بعد.

ولكي يصل الإنسان إلى الحقيقة، عليه أن يتحرر من كل ما يحجب عنه الرؤية، وأن يجرؤ على الخروج من حدود ما اعتاد التفكير فيه. لكن هناك خيطًا آخر، خيطًا لا ينبغي أن نفلته، بل أن نكتشفه ونعي وجوده: الخيط الذي يربطنا بالله، الخالق بالمخلوق؛ ذلك الاتصال، ذلك الجسر الذي يصل الروح بمصدرها.

وهذا ما تمثّله الروح بالنسبة إليّ: ذلك الرابط العميق بيني وبين الخالق، الاتصال الذي لا أستطيع أن أختصره في كلمة، ولا أن أحيط به تفسيرًا، لكنني أشعر أن له مكانًا في رحلتي نحو الوعي والحقيقة.

وتأخذني هذه الفكرة إلى قوله تعالى في سورة النور، الآية الخامسة والثلاثين:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

حين أتأمل هذه الآية، أجد في صورة النور ما يلامس إحساسي بالروح، وبذلك الاتصال الذي أبحث عنه في داخلي. الروح، بالنسبة إليّ، هي المعنى الذي يربط المخلوق بالخالق، والجسر الذي يجعلني أشعر أن علاقتي بالله أعمق من الخوف، ومن الحدود، ومن الصور التي ورثتها عن الآخرين.

لذلك، ربما لا يكون الطريق إلى الحقيقة في إفلات كل الخيوط، بل في معرفة أيّ خيط يحبسنا داخل الصندوق، وأيّ خيط يعيدنا إلى النور.

الهالة: النور الذي لا تطفئه قسوة الحياة

أعتبر الهالة ذلك النور المشع الذي يسكن الإنسان، النور الذي لا ينطفئ لمجرد أن الحياة كانت قاسية عليه، أو لأن الناس وضعوه في تجارب مؤلمة جدًا.

الهالة، بالنسبة إليّ، هي التشبث بالفطرة؛ بالبذرة الحسنة التي خلقك الله بها، وبالجزء الأصيل فيك الذي لا تريد أن تخسره مهما تغيّرت الظروف،

ومهما مررت بأشخاص حاولوا أن يجعلوك ترى العالم بعيونهم.

هي البصمة التي تميّزك عن غيرك، ذاك النور المحيط بك؛ صعب إطفاؤه، صعب تجاوزه، صعب جدًا اختراقه. هي ما يجعلك مختلفًا، ويترك أثرك في حياة الناس حتى بعد أن تغادرها.

ذكرت في التمهيد أنني قادرة على رؤية الهالة التي تحيط بك. ولا أراها بعيني فقط، بل أشعر بها بروحي. هناك أرواح تدخل المكان فيضيء، وأرواح تدخل فيثقل.

وأول مرة رأيت فيها الهالة، كانت هالتي أنا: حين أبصرت النور الذي في داخلي يشعّ وسط الشر الذي كنت أعيش فيه.

هالتك ليست زينة، بل هي روحك وقد فاضت خارج جسدك. هي النفخة التي نفخها الله فيك، تشعّ منك حين تكون صادقًا، وتخفت حين تعيش حياة مزيفة لا تشبهك.

لا تغيّر نفسك لأنك عرفت أشخاصًا سيئين. لا تجعل قسوتهم تقنعك بأن عليك أن تصبح نسخة منهم كي تحمي نفسك. احتفظ بجوهرك، لكن تعلّم كيف تحميه.

ولا تخلط بين الطيبة والغباء؛ فالطيبة شيء، والغباء شيء آخر.

أن تكون طيبًا لا يعني أن تسمح للآخرين باستغلالك، ولا أن تتنازل عن كرامتك، ولا أن تفتح أبواب حياتك لكل من يطرقها. الطيبة أن تحافظ

على قلبك رغم قسوة السنين، وأن تظل وفيًّا للمبادئ التي تؤمن بها، من دون أن تتخلى عن حقك في وضع الحدود، والابتعاد عمّن يؤذيك.

أنا لا أريد أن ألوّث نفسي بالوحل، لأن هذا ليس عالمي، حتى لو اختار آخرون أن يعيشوا فيه. لا أريد أن أصبح قاسية لأنني عرفت القسوة، ولا أن أؤذي لأنني تألمت، ولا أن أفقد طيبتي لأن أحدهم لم يعرف كيف يقدّرها.

لكنني تعلّمت أن الحفاظ على النور لا يعني أن أبقى في المكان الذي يطفئني. أستطيع أن أبتعد، وأن أقول لا، وأن أغلق بابًا لم يعد وجودي خلفه خيرًا لي، من دون أن أسمح للأذى بأن يغيّر جوهري.

هذا هو النور الذي أريد أن أحافظ عليه؛ ليس ضعفًا، ولا عجزًا عن الرد، بل اختيار بألّا أجعل قسوة الآخرين تحدد الإنسان الذي سأصبحه.

فالهالة، كما أراها، هي ذلك النور المشع الذي يبقى فيك حين تتمسك ببذرتك الحسنة، وتحافظ على بصمتك الخاصة، ولا تسمح لتجاربك المؤلمة بأن تسلبك حقيقتك.

قد لا يتذكر الناس كل ما قلته، وقد ينسون ملامحك وتفاصيل كثيرة جمعتهم بك، لكنهم يتذكرون الشعور الذي تركته في نفوسهم، والطريقة التي عاملتهم بها، والنور الذي شعروا به في حضورك. هذا هو نورك؛ الشيء الذي يبقى منك حين تغادر المكان.

أن تكون صاحب أثر لا يعني أن يحبك الجميع، ولا أن تكون كاملًا في أعينهم، بل أن تعيش بما تؤمن به، وأن تحافظ على جوهرك حتى حين لا يراك أحد.

لذلك احفظ هالتك من كل شر، ومن كل عالم خارجي يحاول أن يخترقها. لا تسمح لكل من مرّ بك أن يأخذ من نورك.

فالنور الذي وهبك الله إياه أمانة، والأمانة تُحفظ.

حافظ على نورك، لكن لا تنسَ أن تحمي نفسك.

كن طيبًا، لا ساذجًا؛ وكن قويًا، من دون أن تصبح قاسيًا. فليس كل ما يؤلمك يستحق أن يغيّرك إلى الأسوأ.

بذرة من بذور النجوم

لماذا أقول إنني بذرة من بذور النجوم؟

لأنني، منذ سنوات، أشعر أن حياتي مختلفة عن الصورة التي كنت أتوقعها لها. مررت بمواقف وتجارب كثيرة يصعب عليّ أن أصفها كلها بالكلمات. وجدت نفسي في تحديات احتجت فيها إلى قوة لم أكن أعرف أنني أملكها، وفي لحظات دفعتني إلى اكتشاف نفسي من جديد.

كل تجربة كانت تفتح أمامي سؤالًا، وكل صحوة كانت تغيّر شيئًا في وعيي. كنت أكتشف الحياة، وأكتشف نفسي، وأتعلق أكثر بالعلم والمعرفة،

وأبحث عن المعنى وراء ما أعيشه. حتى نظرتي إلى تربية أطفالي تغيّرت؛ صرت أكثر وعيًا بما أريد أن أزرعه فيهم، وبما أتمنى ألّا يرثوه من أفكار لم أعد أؤمن بها.

كنت أشعر أن الحياة، بكل ما حملته لي، تدفعني إلى أن أتعلم وأتغير وأكتشف قدراتي. وفي كل مرة ظننت أنني وصلت إلى حدود قوتي، وجدت نفسي أواصل الطريق.

لهذا أقول: أنا بذرة من بذور النجوم.

ليس لأن حياتي خالية من الألم، بل لأنها لم تخلُ يومًا من البحث عن النور. وليس لأنني لم أنكسر، بل لأن قسوة الحياة لم تجعلني أتمنى الشر لأحد، ولم تجعلني أطلب الأذى لمن آذاني.

وأؤمن أن الله منحني فرصًا كثيرة للتعلم والنمو، وأن في رحلتي دروسًا لا تزال تتكشف لي حتى اليوم. لا أدّعي أنني فهمت كل شيء، ولا أنني أملك كل الإجابات؛ ما زلت أتعلم، وما زلت أكتشف.

لكنني أعرف أنني لم أعد الإنسانة نفسها التي بدأت منها الرحلة.

هكذا أصف إحساسي بنفسي، وهكذا أعبّر عن رحلتي مع الحياة والوعي والنور. ربما لا يفهم الجميع هذا الوصف بالطريقة نفسها، لكنني أعرف ماذا يعني لي: أن أواصل النمو، وأن أظل متعطشة للمعرفة، وأن أحافظ على النور الذي أؤمن به في داخلي، مهما تغيّرت الظروف من حولي.

ولم تتوقف رحلتي عند اكتشاف نفسي ووعيي. كنت شغوفة بالمعرفة، فقرأت في التدريب على الحياة وتطوير الذات (Life Coaching)، وبدأت أستفيد مما أتعلمه في فهم نفسي ومساعدة الآخرين.

ومع الوقت، وجدت نفسي أساعد أشخاصًا في مواقف لم أخطط لها. كانت أمور تحدث فتقودني إلى أشخاص يحتاجون إلى كلمة، أو فهم مختلف، أو نظرة تساعدهم على رؤية ما لم يكونوا يرونه. وكنت أتعجب أحيانًا من الطريقة التي تتقاطع بها الطرق، ومن التوقيت الذي تحدث فيه هذه اللقاءات.

أنا لا أؤمن بالصدف.

أشعر أن وراء كثير من المواقف معاني لا نراها من اللحظة الأولى، وأن بعض اللقاءات تترك فينا أثرًا يتجاوز ما كنا نتوقعه منها.

هذه التجارب جعلتني أتأمل دوري أكثر: لماذا أتعلم؟ وماذا أفعل بما أتعلمه؟ وكيف يمكن للمعرفة التي أكتسبها من رحلتي أن تنفع إنسانًا آخر؟

وربما كان هذا جانبًا آخر من هذا الإحساس: أن أظل متعطشة للمعرفة، وأن أواصل اكتشاف نفسي، وأن أجد في بعض ما أعيشه فرصة لأساعد شخصًا آخر على فهم نفسه، أو على رؤية طريقه بصورة مختلفة.

لا أقول إنني أملك إجابات الجميع، ولا إنني أعرف حكمة كل ما يحدث. لكنني أعرف أنني وجدت في التعلّم والمساعدة معنى عميقًا، وأن هذه التجارب

أضافت إلى فهمي لنفسي شيئًا جديدًا.

الصحوة الروحية: مرآتك الحقيقية

أؤمن أن في داخل كل إنسان نورًا وظلامًا، خيرًا وشرًا. وأقول دائمًا: في داخلي نور من الله، وفي داخلي وسوسة الشيطان؛ ففي داخل كل إنسان هذا الصراع بين ما يرفعه وما يسحبه إلى الأسفل.

حين أتحدث عن نور الله في داخلي، فأنا أتحدث عن إحساشي بقربه، وعن الحب والرحمة والضمير والنور الذي أستشعره في روحي. وحين أتحدث عن الشيطان، فأنا أتحدث عن ذلك الجانب الذي يدفع الإنسان إلى الخوف والأذى والغرور والابتعاد عن حقيقته.

أما الصحوة الروحية، فهي اللحظة التي تقف فيها أمام مرآتك الحقيقية.

ليست المرآة التي اعتدت أن ترى نفسك فيها، ولا الصورة التي رسمها لك المجتمع، ولا الشخصية التي تعلمت أن تكونها حتى تنال قبول الآخرين.

إنها مرآة روحك.

تأتي الصحوة لتزيل الضباب الذي تراكم فوق هذه المرآة طوال سنوات: ضباب التربية، والعادات، والخوف، والأفكار التي ورثتها دون أن تسأل نفسك إن كانت تشبهك حقًا.

وفجأة، تبدأ برؤية أشياء لم تكن تراها من قبل.

تكتشف أن بعض ما كنت تعتبره طبيعيًا لم يكن مناسبًا لك، وأن بعض ما كنت تخشاه لم يكن سوى فكرة زرعها الآخرون في داخلك، وأن صوتك الحقيقي ظل سنوات مختبئًا خلف أصوات كثيرة تعلمت أن تصغي إليها أكثر من صوت روحك.

وهنا تبدأ الصحوة في زعزعة عالمك القديم.

قد تشعر بالحيرة، وقد تحتاج إلى وقت طويل حتى تفهم ما يحدث لك. لكنك حين تصحو، تبدأ بالسؤال، والتأمل، واكتشاف نفسك من جديد.

ولهذا أقول إن الصحوات الروحية تزورنا بين حين وآخر. ففي تجربتي، لم يكن الوعي بابًا فتحته مرة واحدة وانتهى الأمر، بل كانت كل مرحلة من حياتي تكشف لي شيئًا جديدًا عن نفسي.

كلما ظننت أنني عرفت نفسي، اكتشفت أن أمامي شيئًا آخر لأفهمه.

وكلما أزلت طبقة من الضباب، رأيت مرآتي بوضوح أكبر.

الصحوة الروحية، كما عشتها، ليست أن تصبح إنسانًا آخر، بل أن ترى الإنسان الذي أنت عليه حقًا، قبل أن يعلّمك العالم كيف تكون. وأن تختار أيّ جانب من نفسك تريد أن تغذّي: النور أم الظلام.

الجزء الخامس

الولادة الجديدة

العوض الإلهي · الونيس

العوض الإلهي

الآن أنتقل معكم إلى فصل أراه من أهم فصول حياتي: الفصل الذي التقيت فيه بالعوض الإلهي. هو بداية جديدة في حياتي، لذلك أريدكم أن تركزوا معي، وتعيشوا معي كل التفاصيل. لن أدخلكم في عمق حياتي الخاصة، فهذا ليس من طبعي، لكنني سأعطيكم شيئًا من الخارج، عميقًا، بطريقتي.

كل ما كتبته حتى الآن كان عن الفصول الأولى من حياتي. أما الآن، فننتقل إلى اليوم الذي فتح الله لي فيه أبواب العوض.

قبل الباب

قبل ذلك اليوم بأيام، أتذكر جيدًا، كنت محبطة. لم أكن أفعل شيئًا سوى التأمل في الخالق، لعل ذلك الإحباط يختفي. وكان في داخلي إحساس

غريب، لم أعرف معناه.

ثم جاء اليوم: السابع من أبريل.

لم أتوقع أن هذا هو اليوم الذي ستُفتح لي فيه أبواب العوض والرحمة، وأن العشق الإلهي سينعكس في مخلوق. جاء الوقت والساعة اللذان حددهما الله رب الكون.

كان لقاؤنا مثل تخطيط كوني.

اللقاء

يوم فتح لي باب سيارته، فتح لي باب قلبه وروحه، وأبواب رحمة الله.

كان بيننا حديث عميق. التقينا أصدقاء، باحترام، وبمشاعر خجولة.

ومنذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها، كان في داخلي صوت يقول: هذا هو الشخص. وأنا، بطبيعة الحال، أكذّب هذا الصوت وأقول: مستحيل، لا يمكن أبدًا.

لم أُدخله إلى حياتي من أول مرة. أنا بطبعي إنسانة مسالمة، أحب أن أشعر بروح بجانبي، لكنني في تلك المرحلة بالذات كنت في قمة الوعي، وفي قمة الانكسار. أردت لمن يدخل حياتي أن يستحق ذلك حقًا. فكانت بيننا صداقة وتعارف، وكلام طويل وحديث صادق، واكتشاف للشخصيات والعيوب.

كنت في قمة الوعي، وفي قمة الانكسار.

لم يتوقف الحديث بيننا؛ حوار يجرّ حوارًا. كنا نلتقي كل يوم، ونحكي كل يوم، ونعيش عالمنا الخاص، كأن العالم توقف في تلك اللحظة.

كأن العالم توقف في تلك اللحظة.

كان يحدثني عن حياته السابقة، وعن كل ما يؤلمه، وأحدثه عمّا يؤلمني، وعن حياتي، ومعاناتي، وأفراحي، ونجاحاتي، وطموحاتي. وكنا نتذكر طفولتنا معًا، رغم أننا لم نكن في حياة بعضنا بعد. كان كل واحد منا يريد أن يُدخل الآخر إلى حياته بقوة.

ليس المهم أن تكون قد عشت معي الثلاثين سنة الماضية، لكنني أريدك أن تعرف كل تفصيلة عني، لنعيش الحياة القادمة معًا.

وأنا أكتب الآن، ما زلت أبحث عن الكلمة التي تصف ما شعرت به:

إعجاب؟ لا. حب؟ لا. انجذاب؟ لا. شهوة؟ لا.

النور الذي طلبته

كنت أسأل الله أن يريني النور، وأن يرشدني إلى الطريق الصحيح. وكنت أعيش تجاربي، وأكتشف نفسي ووعيي، من دون أن أعرف متى سأصل إلى الإجابة التي أبحث عنها.

أتذكر جيدًا أنني كنت أكتب مذكراتي قبل أن ألتقي بالونيس بأشهر؛ لم يكن كتابًا، بل مذكرات أكتب فيها لنفسي. كنت قد بدأت أكتشف أن

القاموس الذي عشت وفقه لم يعد قاموشي، وكنت أعيد النظر في الحب، وفي الحياة، وفي صفات الإنسان الذي أريد أن يكون جزءًا من عالمي.

وقبل لقائنا بنحو أربعة أشهر، كتبت فيها عن الأشخاص الذين مرّوا في حياتي وعلّموني أشياء كثيرة، وعن الدروس التي أخذتها من كل تجربة. ثم كتبت أمنيتي: أن يرزقني الله شخصًا مسؤولًا، كريمًا، طيبًا، شجاعًا؛ رجلًا يحمل الصفات التي كنت أبحث عنها. كنت أتخيل شكله، لكنني لم أكن أعرف اسمه، ولم أكن أعرف أنه سيكون هو. ولم أتوقع أن أرى ما كتبته يتجسد أمامي بهذه الطريقة.

هكذا التقيت بونيسي قبل أن أراه بعيني: في داخلي، وفي أمنياتي، وفي الكلمات التي كنت أكتبها إلى الله.

أقسم بالله، الذي أحبه وأعشقه، أنني أتذكر تلك الكتابات جيدًا. لم أكتبها بعد أن عرفته لأجعل قصتي تبدو كأنها تحققت؛ كتبت أمنياتي قبل أن ألتقي به، ثم جاء اللقاء بما حمله من صفات وتجارب ومعانٍ.

ولهذا، حين رأيته أول مرة، قلت في داخلي: لا، مستحيل أن يكون هو. لم أستطع أن أصدّق أن هذا الشخص قد يكون هو الذي كنت أكتب عنه، والذي كنت أطلب من الله أن يرزقني إياه.

شعرت بعدها أن الله أجاب عن أسئلة كثيرة كانت تسكنني، لا بكلمات سمعتها، بل بتجربة عشتها. رأيت أمامي أشياء مختلفة عمّا عرفته في حياتي من قبل؛ رأيت اختلافًا في الحب، وفي التعامل، وفي النظرة إلى الدنيا، وفي فهم ما أريده حقًا من الحياة. كأن الحياة وضعت أمامي نسخة جديدة من

القاموس الذي بدأت أكتبه لنفسي. شعرت أنني أمام درس جديد، وأن هذا اللقاء يشبه رسالة من الله أحتاج إلى التأمل في تفاصيلها.

كانت هناك تفاصيل كثيرة يصعب عليّ شرحها؛ أشياء لم تكن تحتاج إلى خطاب طويل كي تترك أثرها في داخلي. كنت أراها في التصرفات، وفي المواقف، وفي الطريقة التي تتكشف بها حقيقة الإنسان مع الوقت. كنت أرى المسؤولية، والشجاعة، والكرم، والطيبة، وأرى كيف يمكن للإنسان أن يعبّر عن حبه بالدعم والمواقف، لا بالكلمات وحدها. تعلّمت معه أن الحب قد يحمل معاني لم أكن أدركها، وأن وجود شخص في حياتك قد يدفعك إلى اكتشاف جوانب جديدة من نفسك.

حتى حين كان قاسيًا، وحتى حين كان لطيفًا، كنت أجد نفسي أمام تجربة تدفعني إلى التأمل والفهم. لم أكن أملك تفسيرًا لكل شيء، لكنني كنت أعرف أن هذا اللقاء حرّك في داخلي معاني جديدة. كان له أثر في قوتي؛ شعرت أنني أتعلم كيف أكون أقوى، وأقدر على فهم نفسي والحياة. أحببته بطريقته، ورأيت فيه قبولًا لي بعيوبي، كما كنت أقبله بعيوبه. كنت أجد في هذه التجربة أشياء كثيرة تستحق التأمل.

ومن هنا بدأ سؤالي يتغير. لم أعد أسأل فقط: هل سيأتي ما أتمناه؟ بل صرت أتأمل: ماذا يمكن أن تعلّمني هذه التجربة؟ وكيف ستغيّر فهمي للحب، ولنفسي، وللحياة؟

كلما عدت بذاكرتي إلى الظروف التي جمعتنا، كيف اجتمعنا في ظروف صعبة على كلينا، وكيف تقاطعت طرقنا رغم كل ما كان يمكن أن يجعل لقاءنا مستبعدًا، شعرت بدهشة يصعب عليّ وصفها. كنت أبكي وأنا أتذكر، لا لأنني أملك تفسيرًا لكل ما حدث، بل لأنني أشعر بامتنان عميق لما عشته، ولما تركه هذا اللقاء في روحي. ربما لا أملك الكلمات التي تفي هذه التجربة حقها، لكنني كلما تذكرتها، عاد إليّ ذلك الشعور نفسه.

أحمد الله وأشكره على كل شيء: على الطريق، وعلى التجارب، وعلى اللحظات التي لم أفهمها حين عشتها، ثم عدت إليها لاحقًا بعين مختلفة. وأشكر كل من كان جزءًا من هذه الرحلة.

لقد كنت أسأل الله أن يرشدني، وحين التقيت بالونيس، شعرت أن جزءًا من الإجابة وصل إليّ.

وأحسست أن النور الذي كنت أطلبه بدأ يتكشف لي؛ فلم يكن الأمر لقاءً بشخص فقط، بل اكتشافًا لأشياء في الحياة لم أكن أراها بالطريقة نفسها من قبل.

أما فهم هذه الإجابة بكل أبعادها، فكان رحلة أخرى بدأت مع ذلك اللقاء.

لا أعرف كيف أفسّر كل شيء، ولا أريد أن أدّعي أنني أعرف. يكفيني أن أروي لكم ما عشته، وأن أقول بصدق: الحمد لله على كل شيء.

العلاقة الروحية

الروابط الروحية حقيقية؛ هكذا أؤمن.

هناك شخص خُلق لك أنت، مثل مفتاح خُلق لقفل واحد.

لكن لا تستعجل. الطريق إليه لا يُختصر، ويحتاج صبرًا، لأن الله سيجمعكما في الوقت الذي حدده هو، لا في الوقت الذي تريده أنت. سيأتي يوم، وستأتي لحظة... وستجد نفسك أمام الإنسان المكتوب لك. لن يكون كاملًا، ولن يكون مثاليًا، لكنه سيغيّر حياتك، وسيكون القطعة الناقصة التي تكملك.

وإن سألتني: ما العلاقة الروحية؟ سأقول لك: هي لقاء تشعر فيه أن الشخص لا يمرّ بحياتك مرورًا عاديًا، بل يلمس فيك شيئًا عميقًا. تشعر أنك تعرفه منذ زمن، رغم أن معرفتك به قصيرة، وتكون معه على طبيعتك كما لم تكن مع أحد.

وهذا بالضبط ما عشته: ألفة لم أعرف سببها. شعرت بالراحة والقرب منه قبل أن أفهم لماذا. كنت معه على طبيعتي، ولم أخفِ عنه ماضّي. وغيّرني اللقاء، حتى صار مفهوم الحب ومفهوم العلاقة عندي مختلفين كليًا.

من هو الونيس؟

أسميته الونيس، لأنه جاء وسط ظلماتي ووحدتي، فآنس وحدتي، وداوى ما كان يؤلمني.

هو ونيسي، وأنا ونيسته. وللأمانة، كنا في المستوى نفسه من الطاقة، وكلانا كان يبحث عن الشيء نفسه، كلٌّ بطريقته.

الونيس رحمة من الله.

كان وحيدًا، يعيش في وحدة عارمة، رغم أن عنده كل ما يمكن أن يتمناه إنسان. وكنت أرى فيه نفسي؛ أرى نسختي الذكورية.

شابٌّ بدأ من الصفر، لا يملك إلا إرادته. بنى نفسه بيديه، ووصل بمجهوده وحده، دون أن يمدّ له أحد يده، وأعطى الحياة أكثر مما أخذ منها. ناجح، طموح، مجتهد، ورائع جدًا.

طفولتنا تشبه بعضها، وحياتنا كأنها كُتبت بالقلم نفسه. لذلك حين أقول إنني رأيت فيه نسختي الذكورية، فأنا لا أبالغ: كنت أرى نفسي بملامح رجل.

رجلٌ محارب، بطل، لا يعرف كلمة مستحيل. هو إلهام لكل شاب يظن أن البدايات الصعبة نهايات... وإلهام لابني أيضًا.

ما زلت أذكر ذلك اليوم جيدًا، حين نظر إليّ ابني وقال:

«أريد أن أصبح ناجحًا مثله.»

في تلك اللحظة فهمت أن الله لم يعوّضني وحدي.

والغريب في الأمر، وهذا ما أريد أن أقوله لكم: ونيسي أيضًا تزوج وانفصل. لكن قصته عكس قصتي تمامًا. هو أب مسؤول، وبقي مسؤولًا بعد الانفصال. وفّر لزوجته السابقة حياة كريمة، وغيّر حياتها حتى بعد انفصالهما، ولم يقصّر يومًا في حق ابنته، فأمّن لها أحسن حياة وأرغدها.

وهنا أعود إلى كلمتي: الرجل الحقيقي مسؤول بالفطرة، والمسؤولية لا تُصطنع.

الرجل رجل، ونقطة على السطر.

أنا فخورة به جدًا، لأنه نِعم الأب ونِعم العشير، ويستحق أن يكون مثالًا للرجال، كأنه يقول لهم:

ينتهي الزواج، وتنتهي العشرة، ويرحل العشير، لكن لا ينتهي دوري كرجل.

الأمان

ما الذي يجعل الذئبة المنفردة تفتح قلبها؟ أن تلمس الأمان. والأمان يختلف من شخص إلى آخر؛ أما الأمان الذي كنت أحتاجه في ذلك الوقت، فهو أن أرى رجلًا بكامل طاقته الرجولية.

كنت في أصعب مرحلة في حياتي، وفي ظرف صعب جدًا، ولم يتأخر في مساعدتي. وثق بي وهو لا يعرفني، وساعدني وهو لا يعرف مع من يتعامل، وساعدني بلا مقابل، لا يريد مني شيئًا. وقف بجانبي، وأخذ بيدي، رغم أن كثيرين كانوا يعارضون فكرة الارتباط بامرأة منفصلة ولديها أولاد، كأنها منبوذة من المجتمع.

وأكثر ما جعلني أقول إن هذه التجربة مختلفة عن كل تجربة يمكن أن يعيشها الإنسان:

أنه وسط مليون وجه، رأى وجهًا مختلفًا، وركز عليه، وأخذه.

شجاعته قوية، وتستحق أن تُدرِّس.

في زمن كنت أرى فيه كل إنسان ينظر إليّ بنظرة الحاجة، نظر إليّ هو وحده بنظرة: أنتِ إنسان، دنيا الروح.

نظر إليّ هو وحده بنظرة: أنتِ إنسان، دنيا الروح.

وجدت الأمان الذي لم أجده منذ نعومة أظفاري.

وكأن كل ما عشته من قبل، صرت أعيش عكسه تمامًا، في كل شيء. كيف ألتقي، في هذا الوقت بالذات، بشخص يناقض كل ما عرفته؟ شيء لا يمكن شرحه، ويصعب فهمه إلا على من ارتقى في وعيه.

وقفة للقارئ

هل تعرف الفرق بين من يحتاجك، ومن يراك؟

من يراني يتقبل حياتي وعيوبي، ولا يحاول أن يغيّرني على ما يعجبه. يرى روحي، يرى دنيا.

ومن يحتاجني، يحتاج فقط إلى الشعور بوجودي بجانبه، وإلى الفوز بي. وهذا لا يناسبني، لأنني لست جائزة لمن لا يستحق. أنا جائزة لمن يستحق البقاء، وعليك أنت أن تعمل لذلك.

لأنني لست جائزة لمن لا يستحق. أنا جائزة لمن يستحق البقاء،

لا تقل: أنا ضمنتها. أنا لست مضمونة، ولو بعد سنوات. أنا إنسانة تؤمن بكل يوم، وبالرؤية نفسها. اسعَ من أجلي كي أبقى في حياتك. ليس هناك شيء مضمون أبدًا.

شيء أكبر من الحب

أي علاقة نعيشها تحتاج إلى أسس. قد يدخل شخص حياتك فتشعر بانجذاب، أو انبهار، أو إعجاب، أو شهوة؛ وكلها في الأول والأخير مشاعر، وكل تجربة تعكس شيئًا. لكن في هذه التجربة بالذات، لم أشعر بشيء مما تبرمجت عليه.

حتى حبي له لم يكن الحب الذي تبرمجنا عليه، ولا الحب الذي كنت أنتظره أو عشته من قبل، فذلك لم يكن حبًا أصلًا. وإذا تعمقنا في مفهوم الحب كما علّمونا إياه، وجدناه اليوم، بالنسبة إليّ، غير حقيقي.

أنا أحترمه، وأعشقه، وأقدّر فكره وحقيقته. أُجلّ فيه أنه رجل غير مزيف، حقيقي إلى أبعد الحدود؛ رجل يجمع بين الحساسية والقوة، بين الشعور والقدرة على المواجهة. لا أراه كاملًا، لكنني أرى فيه شيئًا أصيلًا يستحق التقدير. علاقتي به يسودها

الاحترام، والولاء، والراحة. وكلما عشت معه يومًا بعد يوم، اكتشفت أنني لا أريد منه مالًا، ولا أريد منه شهوة. هناك شيء أقوى من كل هذا، منذ البدايات الأولى.

شعرت باهتزاز قوي، بنبضات داخلية، ولم أعرف كيف أعبّر عنها. وتخيّل أنني إلى الآن لا أعرف.

ليس حبًا فقط، لا، أنا أعي ما أقول.

هناك شيء أقوى من الحب، لم يُكتشف اسمه إلى الآن.

أهو الحب؟ أم شيء أوسع من المفهوم الذي كنت أعرفه عن الحب؟ لا أعلم. ولا أريد أن أختار له اسمًا لمجرد أنني أشعر بالحاجة إلى تفسيره، ولا أن

أختصر علاقتي به في تعريف جاهز. ما أشعر به أعمق من أن أشرحه بكلمة، وأصدق من أن أحتاج إلى تزيينه كي يبدو جميلًا.

شيء غريب: كلما أردت أن أتحدث عنه بكيت، وأنا الآن أبكي. ولم تكن دموعي يومًا ضعفًا. هو مثل أمي تمامًا: كلما أردت أن أتحدث عنها اختلطت الكلمات عندي، ومهما كتبت عنها لن أوفيها حقها. وونيسي أيضًا، مهما كتبت عنه، لن أجد كلمات توفيه حقه. وما أعيشه معه شيء...

طعم العوض

هل تعرفون معنى طعم العوض؟ أنا أعيشه الآن.

وصلت إلى مرحلة عشقت فيها الألم الذي مررت به، لأنه لولا ذلك الألم ما وصلت إلى حيث أنا، وما عرفت معنى النعمة التي رزقني الله بها. وهنا أعود بكم إلى أول كلامي: إذا لم تلتقِ بالشخص السيئ، فلن تعرف قيمة الشخص الجيد. يجب أن تعيش الشيء وعكسه لتشعر به. وفي هذه العلاقة، جاء كأنه محا كل ما سبق، ليقول: ها أنا هنا، أقوى من أي تجربة مررتِ بها. ونجح في ذلك.

دعوني أقول لكم شيئًا: كنت أبحث عن الله. كنت أبحث، ولم أكن أعرف من هو الله.

عشقي لله قادني إلى أحبائه، وهو من أحباء الله.

رأيت فيه رحمة الله، ورأيت فيه نور الله. وجدته في أصغر تفاصيل حياتي، في كل تفاصيلها، بجانبي. أعطاني القوة، وكان الداعم الأول لي. وأنا ممتنة له من كل قلبي، وممتنة لله على كل ما عشته معه.

العلاقة التي أتكلم عنها هي أن تجمعك بالشخص رؤية واحدة: هو يريد النجاح وأنتِ تريدين النجاح، هو يشعر بشيء وأنتِ تشعرين بالشيء نفسه.

العلاقة عبارة عن رؤية مشتركة، والرؤية المشتركة هي ما يجعل العلاقة تستمر.

أنا أساعده بطريقتي، وهو يساعدني بطريقته.

ولم يكن لقاؤنا لقاءً في حياتي الشخصية فقط، بل ارتبط أيضًا بمشروع مهني ورؤية للعمل. فقد جمعتني بالونيس شراكة في العمل، وبدأنا إنشاء شركة جديدة باسم «روح أرجان للمنتجات التجميلية العضوية»، تستهدف منتجاتها المرأة والرجل. كان بيننا مجال نتشارك فيه فكرة البناء، ونحاول من خلاله أن نصنع شيئًا جديدًا. وبالنسبة إليّ، كان ذلك امتدادًا لحبي للتجارة، وإيماني بأن الأفكار يمكن أن تتحول إلى واقع حين تجد من يعمل عليها ويسعى إلى تحقيقها.

أعشقه، وأعشق تفاصيله، ولو لم يكن يستحق، لما وضعته في ولادتي الجديدة، ولما سمّيته العوض الإلهي.

فيه طاقة غريبة: تجد فيه القوة والضعف، والخير والشر، كأي إنسان، وتجد فيه الصلابة والإنسانية معًا. هو شخص يستحق الراحة، وهذا ما أردت أن أقدمه له منذ أول يوم. حتى لو لم يكن بيني وبينه شيء، فهو يستحق السعادة، لأنه أعطى الناس الكثير، وآن الأوان أن يُعطى.

بعيون الوعي

ونيسي هو الإنسان الذي علّمني المجازفة. وفي كل وصف أحاول أن أصفه به، يعجز كلامي. لذلك أريد اليوم أن أقول له:

أنت المجازفة، أنت الشجاعة.

أنت من علّمني معنى أن أكون شجاعة، أكثر وأكثر، وأن أجازف بكل شيء.

ونيسي إنسان يستحق كل الخير، وهو الرجل المسؤول الذي جازاني به القدر. ولو التقيت به في البداية، لما عرفت قيمته، ولظننت أن هذه هي الحياة العادية. لكنني حين حُرمت، والتقيت بأناس مزيفين وغير مسؤولين، ثم جمعني الله به، عرفت معناه، وعرفت أنه رجل بحق.

وأنا، بحكم أنني أم، أتمنى أن يكون ابني مثله. لا لمجرد أنني أحبه؛ فكما قلت من قبل، علاقتنا ليست مبنية على الحب الذي نعرفه. أنا أراه بعيون الوعي.

أرى ذلك الرجل الذي نهض من الرماد، وقاتل وحارب في حرب الحياة، وساعد كل من كان حوله.

أرى ذلك الرجل الذي نهض من الرماد

ومنذ أول يوم التقيت به، كانت نيتي أن أساعده. وأطلب من الله أن أساعده كما ساعدني، بنية أبعد من الحب، ورغم أنه لا يجمعنا أطفال. أنا معه.

وأدعو الله أن يكون هو معي في كل مستويات هذه اللعبة.

معه عرفت معنى الرجولة؛ فهو لا يشبه في شيء من التقيت بهم من قبل.

القطعة الناقصة من لوحتي

إذا سألتني، سأقول لك: أريد أن أكمل بقية حياتي معه. أريد أن أتطور معه، وأن أصعد معه. إن كنا اليوم في الستين بالمئة، فأريد أن نصعد معًا إلى المليون. هو زوجي وشريكي وونيسي، وأحمل له

في قلبي كل الخير. نيتي معه سليمة مليون بالمئة، وأريده من كل قلبي، وأنا متيقنة أنه يريد ما أريد.

لكنني إنسانة عقلانية. لا أعلم ما يخبئه القدر، ولا أعد نفسي بأننا سنستمر إلى الأبد. لا تسألني عن البداية، فالبدايات كلها جميلة، بل اسألني عن النهاية: هل سنبقى بالرقي نفسه، وبالأخلاق نفسها؟ هذا ما يُبنى كل يوم.

ومع ذلك، أعرف ما أريد قوله اليوم، وأعرف المكان الذي يستحقه هذا الرجل في قصتي. أريد أن أضمّه إلى كتابي، لا لأعلن للعالم أنني وجدت نهاية حكايتي، بل لأقول إنني التقيت برجل كان له أثر حقيقي في رحلتي.

لقد كان القطعة الناقصة من لوحتي، ووجدتها.

دخل قصتي بشرف وشجاعة ورقي، وحمل في حضوره معنى للرجولة كنت أريد أن أتحدث عنه: رجولة المسؤولية، والقوة التي لا تنفي الحساسية، والحقيقة التي لا تحتاج إلى أقنعة كي تثبت وجودها.

لم يدخل حياتي رجلًا بلا عيوب، ولم أحتج إلى أن أجعله كاملًا كي أحترمه. يكفيني أنني رأيت فيه حقيقة ألهمتني، وأن وجوده حرّك في داخلي شيئًا يستحق أن أكتب عنه.

جاءتني فكرة هذا الكتاب عام 2023، ونحن اليوم في 2026. ثلاث سنوات وأنا أحمل حلمي، وأجمع قطع حكايتي، وأبحث عن الكلمات التي تعبّر عن

دنيا التي عشتها، ودنيا التي أصبحتها. ثم جاء هو، وكأنه أتى ليحرّك قلمي من جديد، ويحرّك الكتاب، ويدخل ضمن القصة. وحين وصلت إلى هذه المرحلة، شعرت أن قطعة اكتملت في الصورة.

لم يكن هو من صنع حلمي، فالحلم كان حلمي منذ البداية. ولم يكن هو من منحني صوتي، فقلمي كان معي قبل أن ألتقي به. لكنه أصبح جزءًا من الحكاية التي أريد أن أتركها خلفي، ومن الإلهام الذي رافق اكتمال هذا العمل.

لذلك أكتب عنه؛ لأن بعض الأشخاص يستحقون أن نذكر أثرهم في حياتنا، لا لأننا نعرف إلى أين ستأخذنا الأيام، بل لأننا نعرف ما الذي أضافوه إلى رحلتنا حتى هذه اللحظة.

أريد فقط أن أكون صادقة مع اليوم، وأن أمنح هذه التجربة مكانها، دون مبالغة، ودون إنكار؛ فأنا أملك من الوعي ما يجعلني أقدّر أثره دون أن أدّعي معرفة المستقبل.

هو الونيس الذي رأيت فيه مرآة لجزء مني، ومحاربًا أعرف معنى الكفاح حين أنظر إلى رحلته، ورجلًا ألهمني أن أرى الشجاعة والمجازفة والطموح من زاوية أخرى.

لم أحتج إلى ضمان الأبد كي أعترف بقيمة ما عشته، ولم أحتج إلى نهاية معلومة كي أكتب عن فصل يستحق أن يُروى. لكن هذا لا يعني أنني لا أريده. أنا أريد أن أكمل معه حتى النهاية، ولم أتخيل يومًا ما وصلنا إليه اليوم. وقد كتبتُ ذات

مرة مواصفات الرجل الذي أتمناه، لكنه جاء بأكثر مما كتبت؛ فاق كل ما كنت أستطيع أن أتخيله. أريده، واخترته بكامل وعيي.

أنا اخترته هو، واخترت أن أكمل معه.

هذا هو الونيس في قصتي: القطعة الناقصة من لوحتي التي وجدتها، والرجل الذي دخلها بشرف وشجاعة ورقي، وترك في كتابي مكانًا لا أريد أن أنكره، مهما كان شكل الطريق بعد ذلك.

بطل حكايتي

واليوم، بينما أكتب هذه الصفحات، هو معي، يقرأ ما أكتبه، ويرى نفسه بين سطور حكايتي. لم أتخيل يومًا أن يصبح جزءًا بهذا العمق من قصتي، أو أن يصل إلى المكانة التي وصل إليها في حياتي.

لكنه، في الحقيقة، يستحق أن يكون بطلًا في هذه الحكاية؛ لا لأن قصتنا وصلت إلى الخطوبة ثم الزواج، بل لأنه كان الإنسان الذي وثق بي، وأمسك بيدي، ووقف إلى جانبي في أوقات كنت فيها بأمسّ الحاجة إلى من يراني كما أنا، ويؤمن بي حتى عندما كانت الحياة تثقل خطواتي.

قد يقرأ أحدهم حديثي عنه، فيظن أنني أكتب قصة حب، وأن الحب هو الحكاية كلها. لكنني أرى فيه الصداقة التي كانت البداية، والشراكة التي جمعتنا، والثقة التي نمت بيننا، والإنسان الذي اختار أن يكون حاضرًا حين لم يكن حضوري مع نفسي سهلًا حتى عليّ.

لم تبدأ علاقتنا بقصة رسمنا نهايتها مسبقًا. بدأنا صديقين وشريكين، ثم انتقلنا إلى مرحلة التعارف، وبعدها خطبني، ثم تزوجنا. كانت المراحل تتشكل

أمامنا واحدة تلو الأخرى، ولم أجلس يومًا لأرسم في خيالي كل ما سنصل إليه.

وأنا أعيش ما بيننا بوعي، لا بأوهام اليقين. لا أريد أن أختزل ونيسي في كونه شريكي، ولا أن أجعل قيمته في حياتي مرهونة باستمرار العلاقة أو نهايتها. أنا أحبه كإنسان، وهذا الشعور لا يحتاج إلى مبالغة، ولا إلى وعود كبيرة كي يكون صادقًا.

يا ونيسي، إن كنت تقرأ هذه الكلمات الآن، فأريدك أن تعرف أنني لا أكتبك وعدًا للمستقبل، بل حقيقة جميلة أعيشها. أنت جزء من حكايتي، ومن الطريق الذي مشيت فيه، ومن اللحظات التي وجدت فيها يدًا تمتد إليّ بدلًا من أن تتركني أواجه كل شيء وحدي.

فليس كل إنسان يصبح بطلًا لأنه بقي حتى الصفحة الأخيرة؛ أحيانًا يصبح بطلًا لأنه كان حاضرًا في الفصل الذي كنا نظن أننا لن نستطيع تجاوزه.

سلامي الداخلي

أصبح سلامي الداخلي أسمى ما عندي، وأصبح هناك صوت داخلي يقودني في كل شيء. وأؤمن، كل يوم، أن هناك أرواحًا تلتقي وتكون حقيقية، لكن يجب أن تكون واعيًا بذلك.

أصبح سلامي الداخلي أسمى ما عندي

حين التقيت بونيسي، صرت أسأل: لماذا لم ألتقِ بك من قبل؟ ثم فهمت، فصرت أشكر الله أنني لم ألتقِ به من قبل، بل في هذه المرحلة بالذات من رحلتي.

وقلت: مستحيل أن يكون هذا هو الحب الذي تربيت عليه. إنه أكبر من أي مشاعر يمكن أن يتوقعها الإنسان؛ أكبر من الحب، وأكبر من أي شيء.

وقفة للقارئ

هل تؤمن بالحب؟ أم هو شيء ترتاح فقط لسماعه؟ ماذا لو كان كثير مما نعيشه فارغًا وغير حقيقي، وكان هناك شيء أكبر من الحب بكثير، وأعمق منه بكثير؟ ماذا لو كانت تلك المشاعر لم تصلك بعد، ولم تعشها؟

وأنا سعيدة جدًا بكل ما أعيشه.

ابدأ

أيها القارئ، صدّق كلامي، وراقبني وأنا أكتب قصتي.

أنا دنيا الشافعي، أؤمن بنفسي وبطريقي، وأحمل هدفًا واضحًا أمام عينيّ. أطمح إلى أن أصبح امرأة ناجحة جدًا، نجاحًا يتجاوز كل ما تخيلته لنفسي. لا أريد أن أعيش حياتي بلا أثر، ولا أن أكون مجرد عابرة في هذه الدنيا. أريد أن أصنع شيئًا يشبهني، وأن أصل إلى المكان الذي أؤمن أنني قادرة على الوصول إليه.

أنا أكتب قصتي، ولا أخاف من الخطوات التي تنتظرني. قد لا أعرف كل ما سيحدث، وقد تحمل الأيام مفاجآت لم أستعد لها، لكنني مستعدة لأن أتعلم، وأن أواجه، وأن أبدأ من جديد كلما احتجت إلى ذلك.

أثق بنفسي، ومتفائلة بما تحمله الحياة لي، وممتنة لله على كل ما أعيشه. أشكره على نعمه، وأشعر بالامتنان لكل لحظة، ولكل تجربة، ولكل إنسان مرّ في طريقي وترك أثرًا، حتى للتجارب التي آلمتني؛ لأنها جعلتني أتأمل نفسي، وأتعلم، وأرى الحياة من زوايا مختلفة.

لقد أصبحت أؤمن أن الامتنان ليس مجرد كلمة نقولها عندما تسير الأمور كما نريد، بل حالة من الوعي تجعلنا نرى النعم حتى وسط الأيام الصعبة. لذلك أدعوك أنت أيضًا إلى أن تتوقف قليلًا.

اجلس مع نفسك، وابتعد للحظات عن ضجيج العالم. تنفّس بعمق، وتأمل حياتك، وانظر إلى النعم التي تحيط بك. اشكر الله على ما لديك،

وعلى ما منحك من قوة وصبر وفرص، وعلى الأشياء البسيطة التي ربما اعتدت وجودها حتى نسيت قيمتها.

لا تجعل ما ينقصك يحجب عنك كل ما تملكه.

أنت جميل، وأنت رائع، وأنت إنسان يستحق السعادة والخير. لا تقلل من قيمتك، ولا تجعل إخفاقًا مررت به يحدد هويتك، ولا تسمح لتجربة واحدة بأن تقنعك بأن الحياة لم تعد تحمل لك شيئًا جميلًا.

أعطِ الخير، وافعل ما تستطيع منه، ولا تندم على طيبة خرجت من قلبك بصدق. تعلّم من تجاربك، وضع حدودك حين تحتاج إليها، لكن لا تسمح للألم بأن يحوّلك إلى إنسان فقد إيمانه بالجمال والخير.

نعم، أعرف أننا نفقد توازننا أحيانًا. هناك أيام نصعد فيها ونشعر بأننا قادرون على فعل كل شيء، وأيام أخرى نهبط فيها، ونتعب، ونشك في أنفسنا، وربما نشعر بأننا فقدنا الطريق. هذه طبيعة الرحلة؛ لسنا في حالة صعود دائم، ولا يجب أن نكون كذلك.

لكنني أريدك أن تتذكر شيئًا: التعثر لا يعني الفشل، والتوقف قليلًا لا يعني أن الرحلة انتهت، والسقوط لا يسلبك حق النهوض من جديد.

قد تتغير خططك، وقد تحتاج إلى إعادة ترتيب أحلامك، وقد تكتشف أن الطريق الذي اخترته ليس الطريق المناسب لك. لا بأس. المهم ألّا تتخلى عن نفسك، وألّا تجعل الخوف يتخذ قراراتك نيابةً عنك.

وأنا أقول لك اليوم: لن أسمح للخوف بأن يكتب قصتي بدلًا مني، ولن أسمح له بأن يقنعني بأن أحلامي أكبر مني.

أنت الكاتب، وأنت الروائي، وأنت كاتب السيناريو، وأنت المخرج الذي يختار كيف يتعامل مع المشاهد التي تقدمها له الحياة.

قد لا تتحكم في كل ما يحدث لك، لكنك تستطيع أن تختار كثيرًا من ردود أفعالك، وأن تتعلم من تجاربك، وأن تعيد كتابة الفصل التالي بطريقة مختلفة. لا تستطيع أن تضمن النهاية، لكنك تستطيع أن تكون حاضرًا في رحلتك، وأن تسعى، وأن تحاول، وألّا تتخلى عن أحلامك لمجرد أن الطريق أصبح صعبًا.

إلى المرأة التي تقرأني: ابدئي.

إلى الرجل الذي يقرأني: ابدأ.

إلى المراهق الذي يحمل حلمًا في قلبه ولا يعرف كيف يقترب منه: ابدأ أنت أيضًا.

لا تنتظر أن تصبح الظروف مثالية، ولا أن يصفق لك الجميع. ابدأ بالشيء الذي تستطيع فعله اليوم، ولو كان صغيرًا. إذا كان لديك حلم حقيقي، فامنحه فرصة. تعلّم، وخطّط، وجرّب، واستعن بمن يستطيع مساعدتك، واسمح لنفسك بأن تكون مبتدئًا.

لا تنتظر الشجاعة كي تبدأ؛ أحيانًا تأتي الشجاعة بعد الخطوة الأولى.

هل الاطمئنان هو السر؟

هناك سؤال طالما تأملت فيه: لماذا نعيش أحيانًا وكأننا في حالة خوف دائمة؟ نخاف من المستقبل، ومن خسارة ما نحب، ومن الفشل، ومن المجهول، حتى إننا ننسى أن نعيش اللحظة التي بين أيدينا.

أرى أن الإيمان بالله يدعونا إلى الطمأنينة والتوكل، لا إلى الاستسلام للخوف. وأجد في معنى التسليم لله راحة عميقة: أن أبذل جهدي، وأن أسعى إلى ما أريد، ثم أترك ما لا أستطيع التحكم فيه لله، وأنا أثق بأنني لست مضطرة إلى معرفة كل الإجابات قبل أن أخطو خطوتي التالية.

كم نحتاج أحيانًا إلى أن نطمئن، وأن نخفف قبضتنا عن الأشياء، وأن نفهم أن التوكل لا يعني أن نعرف كيف ستنتهي الرحلة، بل أن نسير

ونحن نؤمن بأننا نستطيع مواجهة ما يأتي، مستعينين بالله، وبما لدينا من وعي وقدرة على الاختيار.

وأنا، حين أفكر في رحلتي، أتخيل نفسي في سفينة الرحمن، أضع قلبي بين يدي الله، وأسمح للطمأنينة بأن تقودني، بدلًا من أن أقضي عمري أقاوم كل موجة خوف تعبرني.

أريد أن أتعلم كيف أبحر مع الحياة، لا أن أستنزف روحي في محاولة السيطرة على كل شيء؛ أن أميّز بين الموجة التي تستحق أن أواجهها، والموجة التي تحتاج مني إلى الصبر، والتي عليّ أن أتركها تمرّ دون أن أفقد نفسي في مقاومتها.

فليس كل ما لا نستطيع التحكم فيه يستحق أن نخاف منه، وليس كل تأخير يعني أننا فشلنا، وليس كل باب يُغلق يعني أن الطريق انتهى.

أحيانًا نحتاج إلى السعي، وأحيانًا إلى الصبر، وأحيانًا إلى تغيير الاتجاه. وفي كل ذلك، يمكننا أن نحمل الإيمان في قلوبنا، وأن نتحرك دون أن نطالب الحياة بضمانات لا يملكها أحد.

أيها القارئ، أريدك أن تجرب أن تطمئن. لا أن تتوقف عن العمل، ولا أن تتخلى عن أحلامك، بل أن تسعى بقلب أقل خوفًا، وأن تفعل ما عليك فعله، ثم تمنح نفسك مساحة للثقة والتسليم.

ما زلت أتعلم، وما زلت أحلم، وما زلت أكتب فصولًا لم أعرف نهايتها بعد. لكنني اليوم أكثر امتنانًا لما أعيشه، وأكثر استعدادًا لما يأتي، وأكثر إيمانًا بأن لكل خطوة معنى، حتى إن لم أفهمه في لحظته.

ابدأ. لا تنتظر أن يختفي خوفك.

ابدأ وأنت خائف، وامضِ وأنت تتعلم،
واطمئن وأنت تسعى.

فحياتك ليست قصة انتهت لأن فصلًا منها كان مؤلمًا. ما دمت حيًّا، وما دامت أمامك فرصة لتختار وتتعلم وتحاول، فلا تزال هناك صفحات لم تُكتب.

افتح الصفحة التالية.

خاتمة

لم أكتب هذه الصفحات لأنني امتلكت إجابات الحياة كلها، ولا لأنني تجاوزت كل ما أوجعني. كتبتها لأنني عشت، وتألمت، وسألت، وحاولت أن أفهم نفسي من جديد.

كنت أظن أن القوة تعني ألا أنكسر، ثم تعلمت أن القوة قد تكون في الاعتراف بالتعب، وفي طلب المساعدة، وفي اتخاذ قرار صعب حين يصبح الاستمرار أشد ألمًا من التغيير.

تعلمت أن طفولتنا تترك أثرها فينا، لكنها لا تكتب بالضرورة بقية حكايتنا. وأن الحب لا ينبغي أن يكون ثمنه أن نفقد أنفسنا، وأن العلاقة التي تمنحنا الأمان لا تعفينا من مسؤوليتنا تجاه ذواتنا، بل تساعدنا على أن نكون أصدق معها.

أما الروح، فما زلت أتعلم كيف أسمع صوتها، وكيف أميّز بين ما أشعر به وما أستطيع أن أفهمه، وبين ما أؤمن به وما لا تزال الحياة تكشفه لي.

هذه حكايتي كما عشتها، وكما فهمتها حتى هذه اللحظة. قد يرى قارئ فيها شيئًا يشبهه، وقد يختلف معي قارئ آخر، وهذا حقه، لكنني أتمنى أن يجد كل منهما مساحة يسأل فيها نفسه: ما الحياة التي أريد أن أعيشها؟ وما الذي أستطيع أن أغيّره اليوم؟

لا أريد أن أترك لكم قصة امرأة لم تنكسر أبدًا، بل قصة امرأة عرفت الانكسار، ثم حاولت أن تبني من جديد.

أريد أن أكون مصدر إلهام لكل امرأة، ولكل رجل، ولكل إنسان يقرأ كلماتي ويجد نفسه في شيء مما عشته. أريد أن أقول لكل من مرّ بالألم إن حياته لا تنتهي عند التجربة التي أوجعته، وإن من حقه أن يعيد بناء نفسه، وأن يراجع أفكاره، وأن يختار طريقًا جديدًا.

لكن هناك سببًا أعمق جعلني أكتب هذا الكتاب.

أنا لا أكتب لأحمي نفسي وحدي؛ أكتب كي أحمي أبناءنا من أن يعيشوا الألم نفسه من دون أن يفهموا أسبابه.

أريد أن تقرأ ابنتي هذه الصفحات يومًا، فتجد فيها ما يساعدها على فهم نفسها، وعلى معرفة قيمة صوتها الداخلي، وعلى التمييز بين الحب والخوف، وبين التضحية التي تنبع من الاختيار، والتضحية التي تستهلك الإنسان حتى ينسى نفسه.

وأريد أن يقرأ أبناؤنا هذا الكتاب، فيتعلموا أن المسؤولية ليست كلمات، وأن الأسرة ليست مجرد بيت يجمع أفرادًا تحت سقف واحد، بل أمان واحترام ومشاركة ووعي. أريدهم أن يفهموا أن الرجل ليس مطالبًا بأن يكون كاملًا، لكنه مسؤول عن أفعاله، وأن المرأة ليست مطالبة بأن تتخلى عن ذاتها كي تثبت أنها زوجة صالحة أو أم جيدة.

كتبت عن الطلاق، لا لأجعل منه انتصارًا لطرف على آخر، بل لأتحدث عن الإنسان الذي يقف أمام قرار صعب، وعن الآثار التي تتركها العلاقات في نفوس الكبار والصغار. وكتبت عن المرأة والرجل، لأن لكل منهما تجربته ومسؤوليته وألمه، ولأنني لا أريد لأحد أن يخرج من صفحاتي وهو يظن أن المعاناة تخص جنسًا دون آخر.

وكتبت عن الدين، وعن علاقتي بالله، وعن الأسئلة التي رافقتني في رحلتي، لأنني أردت أن أشارككم كيف بدأت أفهم ما أؤمن به، وكيف تعلّمت أن أراجع أفكاري وأبحث عن المعنى. لم أكتب لأفرض على أحد قناعة، ولا لأطلب من أحد أن يرى العالم بعيني، بل لأفتح مساحة للتأمل والسؤال والفهم.

وكتبت عن الروح، وعن الصحوة التي عشتها، وعن محاولتي استعادة ذاتي، لأنني أؤمن بأن الإنسان يحتاج أحيانًا إلى أن يتوقف، وينظر إلى حياته، ويسأل نفسه: هل أعيش كما أريد، أم كما تعلّمت أن أعيش؟ وهل اختياراتي نابعة من قناعتي، أم من الخوف مما سيقوله الآخرون؟

كل هذه الموضوعات ليست منفصلة عن بعضها في نظري. فالطفولة تؤثر في الإنسان، والعلاقات تترك آثارها، والأفكار الموروثة قد توجّه القرارات، وما لا نفهمه في أنفسنا قد ينتقل، من دون قصد، إلى أبنائنا.

لهذا أردت أن أكتب.

لم أرد أن أترك الألم حكاية تنتهي عندي، بل أردت أن أحوّل ما تعلّمته إلى كلمات قد تنفع إنسانًا آخر. ربما تقرأ أمّ هذه الصفحات فتنتبه إلى أثر كلماتها في ابنتها. وربما يقرأ أب فصلًا منها فيعيد التفكير في معنى وجوده في حياة أبنائه. وربما تقرأ امرأة تعيش علاقة مؤلمة فتبدأ في طلب المساعدة وفهم خياراتها. وربما يجد رجل في هذه الكلمات ما يدفعه إلى مراجعة نفسه وتحمّل مسؤوليته.

لا أستطيع أن أضمن أن كتابًا واحدًا سيغيّر حياة أحد، لكنني أستطيع أن أكتب بصدق، وأن أشارك تجربتي، وأن أمنح القارئ فرصة ليرى ما قد يكون غائبًا عنه.

نحن تألمنا، لكنني لا أريد أن يصبح ألمنا قدرًا يتكرر في حياة أبنائنا.

لقد تعلّمنا من تجاربنا، أو نحاول أن نتعلم. ومن أراد أن يفهم، فليبدأ بالسؤال والمراجعة والتأمل. أما من اختار البقاء أسيرًا لأفكاره الموروثة، وللخوف الذي يمنعه من رؤية الأمور بطريقة مختلفة، فلن أستطيع أن أختار عنه.

أنا لا أكتب لأحكم على الناس، ولا لأقسم العالم إلى واعٍ وجاهل. أكتب لأنني أعرف أن لكل إنسان رحلته، وأن التغيير لا يحدث بالإجبار، بل يبدأ حين يصبح الإنسان مستعدًا لأن يرى نفسه بصدق.

وأتمنى أن تترك كلماتي سؤالًا في قلب أحدكم، وأن تدفعه إلى مراجعة فكرة، أو فهم تجربة، أو اتخاذ خطوة أكثر وعيًا.

فإذا استطاعت هذه الصفحات أن تساعد أمًّا على حماية ابنتها من ألم كان يمكن تجنبه، أو أن تدفع أبًا إلى الاقتراب من أبنائه بمسؤولية أكبر، أو أن تمنح إنسانًا شعورًا بأنه ليس وحده، فسأشعر أن ما مررت به لم يذهب سدى.

وأكثر ما أتمنى أن يبقى منها هذا: ليس علينا أن ننكر ماضينا كي نبدأ من جديد، وليس علينا أن نعرف كل الإجابات كي نخطو الخطوة التالية.

أنا دنيا الشافعي. لم أعش حياة خالية من الألم، ولم أصل إلى كل ما أطمح إليه، لكنني اخترت أن أتكلم. اخترت أن أكتب، وأن أشارك ما تعلّمته، وأن أترك أثرًا يتجاوز حدود حكايتي الشخصية.

هذا الكتاب ليس مجرد قصة عن دنيا التي تألمت؛ إنه محاولة كي لا يضطر أبناء الغد إلى تكرار كل ما تألمنا منه، وكي يجد كل إنسان فرصة أكبر لأن يفهم نفسه، ويختار حياته بوعي، ويبدأ من جديد.

وهذه، بالنسبة إليّ، هي الغاية الأعمق من أن تتكلم الروح.

هذه ليست نهاية الرحلة، بل بداية لوحة جديدة فيها.

فـ«الروح تتكلم» ليست كتابًا واحدًا، بل سلسلة من الأجزاء، وهذا الكتاب هو جزؤها الأول. كان بمثابة افتتاح؛ تعارف بيني وبين كل قارئ، أتعرّف فيه إليه، ويتعرّف فيه إليّ. أما الجزء الثاني، فسيكون كتابي المقبل، وسيكون أعمق بكثير، وسأكشف فيه كل جانب بعمق أكبر.

ولن تتوقف رحلتي مع الكتابة عند هذه السلسلة. سأكتب كتبًا كثيرة، بإذن الله؛ فحلمي أن أكون كاتبة لأناس كثيرين، ولرواد أعمال ناجحين بدؤوا من الصفر، وقاتلوا حتى وصلوا. هذا ما أريده، وهذا ما سأعمل من أجله.

نلتقي في الجزء الثاني من «الروح تتكلم»: أعماق الروح.

رسائل الامتنان

وقبل أن أغلق هذا الكتاب، أريد أن أعطي حقه لكل من كان جزءًا من هذه الرحلة.

إلى أمي

أمي، أنا ممتنة لك. شكرًا لوجودك. منذ طفولتي إلى هذه الساعة وأنتِ بجانبي، بكل ما عندك من قوة وإدراك. لن أوفيك حقك يا أمي.

أمي، لم أجد طريقة لشكرك سوى أن أتكلم عنك في أول كتاب من تأليفي. أعلم أنك فخورة بي، وأنا رُزقت بأم علمتني معنى الحب والطيبة.

إلى عائلتي

إلى جدتي، وجدي، وخالاتي، وأخي، وإلى عائلتي كلها: شكرًا لكم.

وقفتم بجانبي، وساندتموني، وكنتم نِعم العائلة. لم يكن هذا دوركم، لكنكم قدّمتم لي الدعم الذي تقدرون عليه، كلٌّ بأسلوبه. أشكركم كثيرًا، من أعماق قلبي.

إلى جنة

ابنتي الكبرى جنة، أرى فيك الذكاء، وسرعة البديهة، والحنان. جنة هي صاحبتي. أحبك من كل قلبي. وكل ما عشناه معًا سيكون لك دفعة لتكوني أفضل نسخة من نفسك. أريدك أن تواجهي الحياة، لا أن تهربي منها. أنتِ مميزة، وأنتِ تعرفين هذا جيدًا في داخلك.

إلى جاد

ابني جاد، أنت بطلي الشجاع. تذكّر دومًا أن لكل معادلة حلًا، ولكل عثرة وقفة، ولكل اجتهاد حصادًا. تذكّر أن القوة تكمن في الرحمة، وأن الرجل درع صلب يصعب اختراقه.

سأكون فخورة بكما، بعيونكما وميزاتكما. أنا ممتنة لربي لأنني أم لكما.

إلى ونيسي

أمتنّ لك من أعماق قلبي، أيها الرجل الشجاع، المحارب، المجازف.

أنت لست رجلًا عاديًا. أنت القلب الطاهر، وأنت الخير. فيك ما في كل إنسان من خير وشر، لكن كل شيء جميل اجتمع فيك. أنت مثال الإلهام والقوة؛ روح طيبة ونقية، ورجل مسؤول بضمير كبير.

أنا ممتنة لك على كل ما فعلته من أجلي. وأعدك أنك ستجدني دائمًا بجانبك، في أي علاقة أرادها القدر لنا.

تستحق كل جميل، وأنا أؤمن بك، ولا أرى فيك إلا الخير. وستنجح.

إلى كل من أوجعني

إلى كل من أوجعني وظلمني، بفكره، أو بتصرفاته، أو بكلامه: شكرًا لك.

لم تكن تعلم، لكنك كنت ساعي بريد جاءني برسالة، وقد استلمتها.

منك وُلدت دنيا الأفضل.